الحب من منظور إسلامى

تأليف

أ.د/ شحات حسيب الفيومى

وكيل كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

هـــذا الكتـــاب .. للشـــباب التائـــه فـــى هجيـــر الحيـــاة وَاحَـــة
وهـــو للفتيـــات التائهـــات فـــى قـــيظ الحيـــاة دَوْحَـــة
وهـــو للـــزوجين فـــى خِضَـــمّ الحيـــاة ســـفينة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

يطلب من

مكتبة علاء الدين

شبين الكوم - ت ٠٤٨/٢٣١٥٧٤٩

توطئة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

و بعـــــد

فـى قاعـة مـن قاعـات وزارة التربيـة و التعلـيم المترعـة بطالبـات المرحلة الثانوية، فُتِح رتاج[1] الأسئلة والمناقشـة، و جمـع مـدير النـدوة أوراق الأسئلة من الطالبات، و تفَقَّدْتُها و دقَّقتُ النظر فيها فتكرر فيهـا سؤال من عشرات الفتيات، وهو هل الحب حلال أم حرام؟

ولفت انتباهى سؤالٌ: هل الفتاةُ إذا قرَّرت الذهاب مع «مَنْ » تحب دون علم أهلها لأنهم لا يوافقون عليه وهى تريده، حلال أم حرام؟

والذى شجعهن على كتابة هذه الأسئلة التى تدعو إلى الحـرج عـدم كتابة الأسماء على الأوراق.

و قرأت فى صحيفة الأهـرام حادثـة لفتـاة فـى المرحلـة الثانويـة أحبَّت مدرِّس الرياضة حبّاً شديداً، و ألحَّـت علـى أسـرتها لتوافـق علـى درس خصوصى فى بيت هذا المدرس، و تحـول درس الرياضـة إلى سمـر فى الحب و العشق و بات الشيطان رسولاً إلى فؤاد الفتاة و مُوَسْوساً لقلب الأستاذ و كثرت ألفـاظ الغـزل و كلمـات الإعجـاب حتـى أوقـدت نـيران

(١) الرِّتاج الباب المغلق.

الغريزة، و غرق الاثنان فى بحر الغرام فلم يخرجا إلى الشاطئ إلاَّ بفقد الفتاة أغلى ما تملك، وحملتْ من بحر الخيال جنيناً تحرَّك فى أحشائها، فضاقت الدنيا فى نظرها، و أفَلَت شمس حياتها، وحلَّ الليلُ فلم يكن كالليل الذى يقابل النهار، بل كان ليلاً حالكاً طويلاً، و استمر الأستاذ سادراً فى غيِّه حتى برزت بوادر الحمل على المسكينة و تنكَّر الذئب لها، وأبى أن يعقد عليها، حتى ينتشلها مما أصابها بسببه فلما عرفت أنه تخلى عنها هربت بعيداً عن أهلها لتتوارى فى زحام القاهرة حتى لا ترصدها عيون أهلها و انتهى بها المطاف لتعمل راقصة فى ملهىً ليلى وضاعت المتيَّمة، بعد أن أرداها[1] الخيال.

وفى ليلة من ليالى صيف عام اثنين و ألفين و فى جوِّه المحرق و شعور البشر بأنفاس مكتومة و صدور ضيقة، هرب النوم من عينى ولا غرو كأن الإنسان يتقلَّب على تنور و ليس على أسرَّة مفروشة بالقطن الليِّن، فى هذا الجو هجرت مضجعى و زهَّدنى فيه أنه أصبح غير مريح، و اتجه فكرى إلى كتاب «رياض الصالحين» عَلَّ أزاهير أحاديث رسول الله ﷺ تبعث بالنسيم على روحى، فتخفف على جسدى ما يعانيه من حرارة الجو التى لا تنقطع بالليل، فجلستُ أقرأ، ودق جرسُ الهاتف المزعج، فحملت السماعة فإذا الطالب امرأة.

قالت: اسمح لى بسؤال ولا تسخر منى ولا تسألنى عن اسمى.

(١) أرداها : أهلكها. فالردى : الهلاك.

قلت لها: ما سألت أحداً عن اسمه ولا سخرت من أحد ولن أنظر إلى رقم هاتفك رغم أنه أمامي على شاشة التليفون فاطمئنى.

قالت: إننى أبغض زوجى بغضاً شديداً ولا أُطيق أن أنظر فى وجهه. فهو يعاملنى كخادمة فى بيته، فلم أعد أقبل الجلوس معه ولا مخالطته، وعندما يخرج من البيت تظل نفسى متلهفة لخبر يحمل مصيبة قد حلَّت بشخصه، فإذا ضاجعنى أذهب إلى مضجعه فأجدنى منصاعة ونفسى كارهة، بيد أنى أخاف من شيء وهو أنه إذا دعانى إلى الفراش ويخالطنى أتخيل أننى مع رجل آخر يعاشرنى حتى أستريح و تصل غريزتى إلى منتهاها، ولو نظرت إلى وجهه أثناء المضاجعة لا أصل إلى غاية فطرتى، و ذلك من شدة كرهى له، و الذى يدعونى إلى الاستمرار معه بجسدى حبى لأولادى وأخشى عليهم من زوجة أب.

فقلت لها: أتريدين الجواب الشرعى؟

قالت: نعم.

قلت لها: هذا فى نظر الفقهاء زنا.

انفجرت بالدموع و سمعتُ صوت بكائها، ووضعتُ سماعة الهاتف.

و سُئلْتُ سؤالاً من مستمعة فى إذاعة «وسط الدلتا» فتاة تسأل:

هى تزوجت من زميل لها فى الجامعة بعقد عرفى و تلتقى معه فى مكان يمارسان فيه ما يمارسه الزوجان و عمر هذا الزواج ثلاث سنوات، وبدأت هذه العلاقة وهى فى أول الفرقة الثانية فى الكلية، و انتهت سنوات الجامعة، و تقدَّم لخطبتها شاب جاهز، وسيم، من عائلة عريقة، يحمل شهادة جامعية، ويملك مسكناً يصلح للسكن، فماذا أفعل و أنا مرتبطة بزواج عرفى؟ هل يطلقنى ؟ وإذا لم يطلقنى و تزوَّجتُ الذى تقدَّم إلىَّ ، و أهلى لم يعرفوا بزواجى العرفى، فهل إذا تزوجتُ أكون قد جَمَعتُ بين زوجين؟ وكيف أتعامل مع الموقفين، الموقف الأول الذى دخل فيه الشاب المنزل من نافذته، و الموقف الثانى الذى دخل فيه الشاب الثانى من بابه فأنا فى حَيْرة.

هذا ما دعانى

إلى

تأليف

هذا الكتاب

و نستعين بالله ! !

معنى الحب

كلمة الحب: كلمة رقيقة عذبة لها وقعها على النفس حين تنساب إلى الآذان، فتستقر فى الوجدان، هى تتردد على ألسنة المجتمعات البشرية و هى تعبير عما يجول بالخلجات، ولها معناها فى الحيوانات والطيور و الحشرات، ويظهر هذا المعنى فى تعبير الحيوانات و الطيور بالحركات و السكنات، و للعلماء فى تعريف الحب اتجاهات.

فهناك اتجاه لغوى و هناك اتجاه فكرى نظرى وهناك اتجاه فسيولوجى، ويتعلق هذا الأخير بالمخ و الأعصاب، و الحب فى اللغة (نقيض البغض، والحب: الوداد و المحبة و كذلك الحِب بكسر الحاء و أحبَّه فهو محب وهو محبوب على غير قياس و الحِب : الحبيب، قال ابن بَرِّى رحمه الله، الحبيب يجيء تارة بمعنى المحب و يجيء تارة بمعنى المحبوب، و الحِب المحبوب)[1].

- **تعريف الحب فى الاتجاه الفكرى والنظرى:**

ويتمثل ذلك فى كلام أبى حامد الغزالى (الحُبُّ: عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلَذّ فإن تأكد ذلك الميل و قوى سُمِّى عِشقاً، و البغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعِب فإذا قوى سُمِّى مقتاً، فهذا أصل في حقيقة معني الحب)[2].

(١) لسان العرب جـ٢ - ص٧٤٢ - ٧٤٣ مادة «حبب» بتصريف.
(٢) إحياء علوم الدين جـ٤ - ص٤١١.

و من جهة أخرى نجد الحب متعلقاً بالإدراك و الإنسان له حواس خمس و حس سادس و لكل واحدة منها إدراك مختلف عن الآخر، و لكل واحد من هذا الإدراك لذته، و للطبع بسبب تلك اللذات ميل، فلذَّة العين في إبصار الحُسن والمبصرات الجميلة و الصور المليحة الحسنة المستلذَّة، و لذَّة الأُذُن في سماع الكلمات الرقيقة الطيبة العذبة، و لذَّة الشم في الروائح الطيِّبة، و لذة الذوق في الطعوم، ولذة اللمس في النعومة واللين، و قد يجد الإنسان هذه اللذَّات مجتمعة في امرأة، فيهيم عشقاً فيها، و قد يجد بعضها فيحبها، و قد تهون عليه نفسه قبل محبوبته.

فالحب ميل الطبع إلى الشيء الذي يتلذذ الإنسان منه، و للحواس الخمس دورها و للفؤاد دوره، و هذا الميل ينساب في دماء المحب، فيؤثر في نبض القلب و اضطراب الأعضاء، و يلعب الخيال دوراً في إذكاء نيرانه.

- والحب عند أهل الاتجاه الفسيولوجي:

(هو مجموعة من التصرفات الحسنة الطيبة ذات الطابع الجميل مع بعض الانفعالات الوجدانية، مثل زيادة عدد ضربات القلب أو احمرار بالوجه عندما يرى المحب محبوبه و يقطن الحب أساساً في المخ ككل ولكن هناك بعض الأجزاء في المخ هي التي يقع فيها الجزء الأكبر

من التصرفات و الذكريات حيث إن الفص الوجدى من المخ، هو لاختزان الذكريات جميعها، و كذلك الانفعالات والوجدان سواء بالحب أو بالكره و ترتبط دائماً الذكريات و المعرفة القديمة بالانفعالات والعاطفة و الوجدان، و كذلك ترتبط بالأشخاص ببعضهم.

أما الفص الأمامى من المخ فهو المسئول عن التفكير و المعرفة والتصرفات وأيضاً العقل و الرصانة، و يستقبل المخ أساساً عن طريق العين التى منها توزَّع الصور و كل ما نراه إلى فصوص المخ وخاصة الفص الوجدى والفص الأمامى، و ذلك طبعاً بعد أن تمر قبل ذلك على الفص الخلفى من المخ المسئول عن إدراك و فهم هذه الصور، و عندما ينفعل المخ بما رآه يبعث إشارات مختلفة إلى جميع أجزاء الجسم ولكن بدرجات متفاوتة فمثلاً يرسل إشارات إلى العضلات أو اليد لتحية من يُحب و إلى القلب ليزداد نبضه بقوة أو إلى الأوعية الدموية بالوجه ليقول لها إن هذا هو المحبوب.

وإشارات المخ المرسلة هذه إلى عضلات الجسم، أغلبها يذهب أتوماتيكياً -بطريقة آلية- إلى القلب و الغدد العرقية و اللسان وباقى الأعضاء، دون القدرة على التحكم الكامل فى هذه الإشارات، فيمكننى عندما أرى المحبوب ألا أمُدُّ يدى للتسليم عليه، و لكن لا يمكننى أن أقلِّل من نبضات قلبى.

- الحب باللغة العلمية النفسية «السيكولوجية»:

هو انعكاس شرطيٌّ أى يتولد الحب بين شخصين إذا أحْسَنَ أحد الشخصين المعاملة وتقرَّب بلطف ومودة إلى الآخر بصفة مستمرة، بدليل أن أجدادنا و آباءنا القدماء أحبوا زوجاتهم بعد الزواج بالعشرة نتيجة المعاملة الحسنة و المودة المستمرة، و قد ينهار الحب أيضاً بالانعكاس الشرطى، أى أنه إذا أساء المحب المعاملة بطريقة جافة مستمرة يتهدم هذا الحب الكبير و الدليل على ذلك أن كثيراً من المتزوجين الذين كانوا يحبون بعضهم حباً أشبه بحب العبادة يفترقون وينفصلون أحياناً لأن الحب لم يجد ما يغذيه من المودة و المعاملة الطيبة المستمرة)[1].

- شعاب الحب:

يتشعب الحب فى حياة الإنسان إلى دروب كثيرة فهناك حب البقاء وحب الوالدين وحب الولد، وحب المال، وحب الجاه، وحب العَظَمة الذى يصير جنوناً، وحب العمل، وحب العزلة، وحب المجد والشهرة، وحب الحيوان، وحب الوطن، وحب النَّاس، وحب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل.. وكل هذه الشعاب لها أُطُرُها وشواطؤها التى يموج فيها الحب ويجرى ، فإن زاد وطغى على الشواطىء فتجاوزها صار مبغوضاً.

(١) أ د/ أسامة الغنام: أستاذ جراحة المخ و الأعصاب فى مقال له بجريدة الجمهورية الصادرة يوم الأربعاء ٣٠/٦/ ٢٠٠٤.

و فوق هذه الشعاب هناك حب للعلم، وحب للخير و حب لله و لرسوله، و ليس لهذا الحب مدىً و منتهى، و يسرى فى جسد المحب سريان الرحيق فى الأزاهير.

والذى يعنينا من هذه الشعاب و الدروب : حب الذكر للأنثى و حب الأنثى للذكر، فذلك هو موضوع هذا الكتاب، فلا يخلو منه مجمتع من المجتمعات البشرية، بل هى مترعة بأمواجه متلذّذة بلظاه، و لا تستنكفه قصور الملوك.

فكم من أميرة هامت عشقاً برجل ليس من شعبها و دفعت حياتها ثمناً لهذا العشق، وكم من أميرة تركت القصر و نعيمه وهربت مع من أَحَبَّتْ، وكم من أمير اقترب من اعتلاء العرش و عشق امرأة من عامة الشعب ومن دولة غير دولته و خُيِّر بينها و بين العرش فاختارها و رضى بحياة الظل هو ومعشوقته، حتى المجتمعات القبلية تمكَّن الحب من أفئدة أبنائها، فروت الأجيال قصة «عنترة وعبلة» و «مجنون ليلى»، و«كثير عزة»، و«جميل بثينة»، واشتهرت قبيلة من القبائل العربية بالحب العفيف، و يبدو أنه أصاب أكباد أبنائها و هى قبيلة «عَذْرة» و اتسم حبهم بالعفة، فيقال: «الحب العذرى» نسبةً إليهم، وما زالت الكلمة تتناقلها الألسنة فى محيط المجتمعات العربية، و يكاد أن يكون لكل إنسان قصة حب انتهت بالزواج، أو افتراق الحبيبين، و فى

حالة الفراق تشتعل نيران الحب فى مضاجع المحبين، ويعيشون بعد الفراق فى ظلال اليأس و تحت سحابات من الآمال ممزقة مبعثرة، وتبقى آثار الحب فى ألواح الذاكرة وهى ذكريات تغشى كلَّ محب فى وحدته و تداعبه فى أحلامه و قد تُصوِّب الأسرة سهامها إلى أكباد أبنائها المحبين فتفرق بينهم و بين مَنْ يحبون.

- **حب مقتول:**

حدثنى أحد العاشقين عن عشقه لابنة عمه، فلقد وُلد هذا الحب بينهما منذ نعومة أظفارهما، وضمَّهما سقف بيت واحد فى الريف المصرى، يدرجان على شاطئ ترعة صغيرة يلعبان بطينها و يبنيان بالطين بيوتاً صغيرة يعملان معاً فإذا جاعا ذهب إلى «مِشنَّة» الخبز و إلى «طاجن» الجبن فأتى لابنة عمه و لنفسه بالطعام فأكلا معاً، فإذا حانت وجبة الغذاء جلسا معاً بجانب جدهما على «طبلية» واحدة و تكتمل السعادة حين يجلسان أمام الجد وقت الأصيل، فيتحاورون و ينزل الجد بفكره إلى فكر أحفاده، ويجيب على جميع أسئلتهما، و إذا أتى الليل ناما معاً.

يقول : وعندما عقلت ما يدور حولنا و ذهبنا إلى المدرسة وكانت تبعد عن بيتنا بمقدار كليو متر واحد فى القرية كنا فى فصل واحد، و عند العودة أحمل حقيبتها مع حقيبتى، و فى يوم من الأيام لا أنساه

تركتُها فى المدرسة و عدت وحدى، فاستقبلتنى أمى فزعة قائلة «فين بنت عمك» قلت لها فى المدرسة فالتفَّت الأسرة حولى: أبى وجدِّى وعمى و زوجة عمى وأمى فزعين يسألون فى لهفة عنها و ركب عمى وأبى و ذهبا إلى المدرسة و قابَلَتْهُما فى الطريق وهى تبكى بحرقة فأتيا بها وعندما كلمتُها وجدتُها تبكى بحرقة «ليه سيبتنى» امتدت يداى الصغيرتان فى براءة أكفكف دمعها وأمسح وجهها و أقبلها «معلهش» و نسيتْ هذا الموقف منى ولم يتكرر هذا الموقف مرة أخرى.

تضمنا «طبلية» لعمل الواجب المدرسى، ظل الحب ينمو فى قلبى و قلبها و سيطر على كيانى و كيانها و عندما استطعنا أن نمتطى الأتان كانت تركب ردْفى إن أسرعت الدابة أمسكتْ بملابسى فأصبحتُ واحة أمْنٍ لها، و إذا خرج علينا كلب ينبح اتخذتنى ستراً لها عشقتنى و عشقتُها و بعد موت الجد دبَّ النزاع بين عمى و أبى على الميراث وضعهما على مفترق طرق و استقل كل واحد منهما عن الآخر و ظنَّ كلاهما أنه مظلوم و فسدت العلاقة بينهما و تقطعت صلة الرحم بينهما وصار الاثنان أعداء، و لكنَّ الحب بين الفتى والفتاة لم يتأثر بعلاقة الأخوين مع هبوب العواصف الهوج، وتقدَّم الفتى لخطبة ابنة عمه فأبى أبوه وهدده بالطرد من البيت إن دخل دار عمه،ولما كلَّم عمَّه هدده بالقتل إن أتى إلى داره، و بهذا يكون الأخوان قد حكما على ولديهما بالإعدام مع النية وسبق الإصرار.

خرج الفتى من البلد وعمل فى بلد بعيد، وزوَّج العم جسد ابنته إلى شاب آخر يكيد أخاه وتجرع العاشق غصص الفراق بعد علمه بذلك، و تقلَّبت الفتاة فى نيران البَعاد ولا حول لها ولا قوة فهى فى قرية فى الريف لها تقاليدها فلا تخرج عن طوع أبيها، فالحب فى الريف وقتها فضيحة، فانقادت لأقدارها وزُفَّتْ إلى بيت زوجها جسداً خالياً من الروح، فروحها مع ابن عمها، وحملت من الماضى ذكريات متباينة وخرج هو وتزوج من امرأة فى بلد عمله و رضى بقدره ويئس الاثنان، يقول : كنت أردِّد قصيدة الأطلال للدكتور/ إبراهيم ناجى و يهزنى فيها:

يا حبيبى كل شىء بقضاء ∴ ما بأيدينا خُلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا ذات يوم بعد ما عزَّ اللقاء
فإذا أنكر خِلٌّ خِلَّه ∴ و تلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كلٌّ إلى غايته ∴ لا تقل شئنا فإن الحق شاء

قلتُ له «إبراهيم ناجى» قال « فإن الحظ شاء» قال الوزن لم يتغير و الأصح أن نكل المشيئة لله، و نرضى بمشيئته.

قلت: هل انتهت قصتكما

قال: لا ؛ رغم أننا مضينا كلٌّ فى طريق إلاَّ أنه فى فصل من فصول السنة وهو فصل الخريف طار نعيها إليه فذهب إلى القرية مسرعاً هائماً و حضر دفنها و بعد دفنها عاد إلى محل إقامته، و بعد أن اعتمد أبناؤه

على أنفسهم و شُغل كل واحد بحياتـه وأسـرته عـاد إلى بيـت أبيـه بعـد بلوغه سن المعاش، فأقام فى القرية وهجر المدينـة التـى كـان يعمـل بهـا فطفق يعظ النَّاس على قدر علمه و يقوم بدفن الموتى، وكان يـدخل مقـبرة الأسرة فعرف ابنة عمه ومعشوقته.

يقول: جلست بجانب هيكلها العظمى : وسمعتها بصـدى صـوتها و نبراته التى حفرت أخْدوداً فى قلبـى تقـول و قـد طواهـا الـردى وهـى تقول «والله إنى أحبك يا فلان» فكلما مات أحدٌ مـن أفـراد العائلـة أسـرع بدخول القبر و يجلس بجانبها دقائق.

فبعد مماتها تهتف روحها بالحب و بعد أن صارت هيكلاً عظميـاً ينبض فؤاده بحبها.

«طيور شادية على شواطئ الحب»

الحب بحر أحياناً لا تطفئ مياهه نيران القلوب و كل المحبين الذين أقاموا على شطآنه قد جادت قرائحهم بأعذب الكلمات فمنهم الشعراء الذين نظموا القصائد التى أبدعوا فيها وسبحوا فى بحار الخيال فكانت قصائدهم نظماً من الجُمان، فشدا بها الشادون بأحلى الألحان، ومن الذين أقاموا على شاطئه الأدباء الذين أحسنوا الفن القصصى فنسجوا قصصهم فبزغ نورها فى المشرق و المغرب ومنهم الذين أتقنوا فن الرواية فجُسِّدَت رواياتهم على المسارح، فلولا إقامة هؤلاء على بئر الحب ما سمعنا عن القصائد الشعرية ولا قرأنا قصصاً فنياً، ولا رأينا روايات ولا تمثيليات مسرحية، فلقد لعب الحب فى دنيانا أدواراً أثرت فى حياتنا و غيرت فى سلوكنا.

علاقة الرجل بالمرأة فى ضوء الإسلام

خلق الله البشر ذكراً و أنثى غالباً و غرس فى الاثنين دوافع فطرية ففى طور من أطوار الحياة يطلب الذكر الأنثى و ترغب الأنثى فى لقائه، و ذلك بعد نضج أعضائهما التناسلية و بعد البلوغ، فيتوق الذكر للأنثى و تتوق الأنثى للذكر، وهذه فطرة الله التى فطر النَّاس عليها، بيد أن اللقاء بين الذكر و الأنثى تحكمه القوانين الإلهية، ولا تحكمه الميول الفطرية ولا الغرائزية، و لقد جعل الله حواجز فاصلةً بين الرجل والمرأة التى يجوز له الزواج منها، فلقد نهى الله عن الانفراد بها و النظر إليها ولكن هناك استثناءات فى النظر أباحها الإسلام دون الانفراد بالمرأة، وهذه الاستثناءات هى:

الأول : نظر الرجل إلى زوجته أو أَمَته.

الثانى: نظر الرجل إلى ذوات محارمه كأمه وأخته، وعمته وخالته، و ابنته، أو أَمَته المزوَّجة.

الثالث: النظر لأجل الزواج فيجوز للرجل أن ينظر للمرأة التى وقع عليها الاختيار، ونظره مباح فى حدود الوجه و الكفين.

الرابع: النظر للتداوى و هذا للطبيب و المواضع التى يفحصها، و الأعمال فى ذلك بالنيات.

الخامس: النظر من أجل الشهادة أو للمعاملة، و يجوز النظر إلى الوجه فقط.

السادس: النظر للأمة عند ابتياعها أى شرائها، فيجوز النظر إلى المواضع التى يحتاج إلى تقليبها.

هذه الاستثناءات فى جواز النظر و ما عدا ذلك فهو حرام، قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

و قال تعالى ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (٢).

لقد وظف الإسلام أعضاء الإنسان وحواسه فيما يفيده، و بما يعود عليه بالنفع، و منعه من استخدامها فى المعاصى حتى لا تكون مصدر هلاك.

---

(١) سورة النور آية ٣٠ – ٣١.
(٢) سورة الإسراء آية ٣٦.

ويوم القيامة تأتي أعضاؤه فتشهد بسوء استخدامها، قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (١).

وقوله تعالى ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾، وحتى الجلود ستسأل يوم القيامة، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢).

فإذا سأل اللهُ تلك الأعضاء في أي شيء استخدمت؟ فإن الإنسان يستخدمها في الطاعات فإذا أطلق الإنسان سمعه و سمع ما يثير فطرته من النساء أو أطلق لبصره العِنان يرى أجساد النساء العاريات و تتلصص عيناه إلى الأعضاء التناسلية للمرأة فإنَّه سيحاسب على ذلك، ومن ترك فؤاده و فكره يسبحان في الخيال ويتخيل أنه يجامع امرأة أو أن امرأة تتخيل ذلك فإنها ستحاسب، ومَنْ فعل من النساء تلك الأفعال حوسبن على ذلك، و من استخدم حاسة اللمس في اللذات فإنَّه يُحاسب على ذلك.

---

(١) سورة النور آية ٢٤-٢٥.
(٢) سورة فصلت آية ١٩ – ٢١.

أيتها الفتاة.. ألبسك الله ثوب الحياء فلا تخلعيه

لقد فطر الله الأنثى وجعل فى تكوينها خُلقاً فطرياً هو الحياء فكان خُلُق المرأة الأولى مبنياً على ستر جسدها. فلقد خلق الله آدم فى أطوار مختلفة، خلقه من تراب ثم صار طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً كالفخار. وظل آدم منجدلاً فى طينته (أى مطروحاً) وكان إبليس يدخل فى جوفه و ظل آدم ردحاً من الزمان على حاله قبل أن ينفخ الله فيه الروح.

- **خلق حواء مبنى على ستر جسدها:**

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾(١).

لقد خلق الله حواء من ضلع آدم حتى تكون معنية على ستر أعضائها، فلا يراها إلاّ زوجها آدم، و فطرها الله على الحياء، و لذلك يُلْحَق بها -إذا أريد التشبيه- مَنْ اتصف بالحياء، كما ورد فى وصف رسول الله ﷺ، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه)(٢).

(١) سورة النساء آية ١.
(٢) حديث متفق عليه.

فيا أيتها الفتاة .. حياؤك الفطرى ثوب يصون كرامتك و أنوثتك من الأعين التى اعتادت أن تأكل لحوم النساء العاريات، والحياء خلق يحث على فعل ما حسَّنه الشرع ويبعث على اجتناب ما قبَّحه الشرع، وهو لا يأتى لك إلا بالخير و يدرأ عنك كل شر كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ «الحياء لا يأتى إلاَّ بخير»(١).

و بالإضافة إلى خير الدنيا فإن الحياء من أصول دينك، ومن أُسُسه فهو شعبة من شعب الإيمان التى تتخلل القلب و الجسد، فعن أبى هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلاَّ الله، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من الإيمان)(٢).

فمن الإيمان أن لا تُبرزى مفاتنك و أن تسترى جسدك وأن تظهرى الوجه والكفين حتى فى الصلاة هذا لك أما ما عدا الوجه والكفين فإن الله سيسألك عن كشف بقية جسدك أو إبراز أعضائك.

---

(١) حديث متفق عليه.
(٢) حديث متفق عليه.

سحابةُ خلافٍ تمر من بلد إلى بلد
و من قرية إلى قرية

تربى أبناء الأزهر على ضفافه وجداوله فهم يجيدون السباحة فى بحار الشريعة و العقيدة و لغة القرآن، و لا غرو فأهل مصر لهم نهـران ؛ نهر النيل و الأزهر، فهم يشربون منهمـا و لقـد هـاجرت مجموعـات من مصر إلى أرض الحجاز وغيرها فراراً من بطش الحكام أو لرغبتهم فى مال دول الخليج، فارتفاع الأجور فى تلك البلاد جذبهم إليهـا، و تعلـم هـؤلاء بعـض عناصـر الفكـر الوهـابى و الـذى يميـل إلى الآراء الفقهيـة المتشددة، وغالى كثير منهم بعـد مـا أخـذوا شيئاً مـن الفكـر الوهـابى، فكفَّروا كثيراً من المسلمين و كفَّروا مذهب الخلف الذى يذهب إلى التأويل و كفَّروا المعتزلة رغم أن أجيالاً من المسلمين يعتقـدون الفكـر الاعتـزالى، والأمة الإسلامية كلها كان ظلالها المذهب الاعتزالى و كفَّروا الزمخشـرى و نالوا من الإمام أبى حنيفة و سمعتُ نَيْلَهم منه بأُذُنى، قـال أحـدهم : فقه أبى حنيفة كفقه النصارى، و ربما كفَّره الـبعض، و نـال كـثير مـن الإمام أبى حامد الغزالى و كفَّروا أئمة التصوف حتى المحبين لرسـول الله ﷺ ، و مَنْ قالوا قصائد فى مدح رسول الله ﷺ لم يسلموا مـنهم، وعلـى رأس هؤلاء الإمام البوصيرى صاحب الـبردة، فلقـد كفَّـروا هـذا المحـب و اتهموه بالزندقة.

لقد حَمَلتْ هذه الطوائف المهاجرة هـذه الآراء، وطفقـوا ينشـرونها بين الشباب و سـاعدهم علـى ذلـك الكُتيِّبـات الصـغيرة التـى يوزعونـها مجاناً، و ما يكتبونه على الإنترنت، ومن بين ما حملوه «الوجه والكفان عورة فى المرأة ولا يجوز إظهارهما فـى المـرأة» و لكـن مـا ورد عـن ابـن عباس رضى الله عنهما وعن جمهور علماء المسلمين يخالف ذلك، قال الله تعـالى ﴿وَلا يُبْـدِينَ زِينَـتَهُنَّ إلاَّ مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا﴾ ، (قـال الأعمـش عـن سعيد بن جبير عن ابن عباس﴿وَلا يُبْـدِينَ زِينَـتَهُنَّ إلاَّ مَـا ظَهَـرَ مِنْهَـا﴾ قال: وجهها و كفيها و الخاتم. و روى عن ابن عمـر و عطـاء و عكرمـة و سعيد بن جبير و أبى الشعثاء و الضحاك و إبراهيم النخعى و غيرهـم نحو ذلك)[1].

ولقد عقب على هـذا الحـافظ ابـن كـثير فقـال: (و يحتمـل أن ابـن عباس و مَـنْ تابعـه أرادوا تفسـير «مـا ظهـر منهـا» بالوجـه و الكفـين، وهذا هو المشهور عنـد الجمهـور، و يُسـتأنس لـه بالحـديث الـذى رواه أبو داود فى سننه عن عائشة ﵂ أن أسماء بنـت أبـى بكـر دخلـت علـى النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها، و قال : يا أسمـاء إن المـرأة إذا بلغـت المحـيض لم يصلح أن يُـرَى منهـا إلاَّ هـذا وأشـار إلى وجهـه و كفيه)[2].

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ٦، ص٤٧، ط. دار الشعب.
(٢) المرجع السابق.

فإذا كان لا يجوز أن تُظهر المرأة من جسدها إلاَّ الوجه و الكفين ولا يجوز لها ارتداء الملابس الضيقة التى تبرز مفاتنها أو الشفافة التى تظهر جسدها فللمرأة بعد ذلك أن ترتدى ما تشاء فإن ارتدت النقاب وراق لها فهو خير وليس إرهاباً و إن ارتدت الحجاب فهو خير و إن ارتدت غير ذلك فجائز لها.

فتاة قدوة للفتيات

لقد ساق القرآن القصص القرآنى لما فيه من العبرة، و دخل بيوت الأنبياء السابقين وكشف عن سلوك أسرهم، و ساق حديثاً عن نبى الله موسى حين اتجه إلى مدين فارّاً من بطش فرعون، و انتهى به المطاف إلى ماء مدين قال تعالى : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1].

لقد خرج موسى من مصر فريداً وحيداً مطارداً فى الطرق الصحراوية فى اتجاه مدين جنوبى الشام و شمالى الحجاز، فى مسافات شاسعة و أبعاد مترامية، لا زاد يحمله ولا استعداد، فلم يتزوَّد و لم يتخذ دليلاً و نلمح – إلى جانب هذا – نفسَه متوجهةً إلى ربه مستسلمة له متطلعة إلى هداه قائلاً ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ و مرة أخرى نجد موسى –عليه السلام– فى قلب المفازة وحيداً يطارده فرعون وجُنده ويبحثون عنه فى كل مكان، و لكن اليد التى رعته وحمته فى مصر ترعاه و تحميه فى مدين ولا تسلمه لأعدائه أبداً فها هو يقطع الطريق الطويل، و يصل إلى حيث لا تمتد إليه يد البطش و الطغيان، لقد

(١) سورة القصص آية ٢٢ – ٢٤.

انتهى به السفر الشاق إلى مدين، ووصل إلى مائها وهو مجهود مكدود، و إذا هو يطَّلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة كنفس موسى -عليه السلام- وجد الرِّعاء يسقون أنعامهم و دوابهم من ماء مدين، و تميزت امرأتان عن الرعاء تمنعان غنمهما عن ورود الماء، و الأولى و الأفضل عند أهل المروءة و الشهامة أن تسقى المرأتان و تصدرا بأغنامهما قبل الرجال، و أن يَفسح لهما الرجال، ولم يقعد موسى المطارد الغريب المكدود ليستريح وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للأعراف البشرية، فتقدم إلى المرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب، قال: ما خطبكما : ما شأنكما؟ قالتا: لا نسقى حتى يصدر الرعاء — أى ينصرفوا — ثم قالتا عن سبب ذلك ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فأطلعتاه على سبب انزوائهما و تأخرهما و ذودهما لغنمهما عن الورود، إنه الضعف فهما امرأتان و هؤلاء الرعاة رجال و أبوهما شيخ كبير لا يقدر على الرعى ومجالدة الرجال، و ثارت نخوة موسى فتقدم لإقرار الأمر فى نصابه، تقدم ليسقى للمرأتين أولاً كما ينبغى أن يفعل الرجال ذوو الشهامة وهو غريب فى أرض لا يعرفها ولا سند له فيها ولا ظهير، وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد، و من خلفه أعداء لا يرحمون، و لكن هذا كلَّه لا يقعد به عن تلبية دواعى المروءة و النجدة والمعروف، «فسقى لهما» مما يشهد بنبل هذه النفس التى صُنعت على عين الله «ثم تولى إلى الظل» فالظل فى هذا الوقت نعمة عظيمة، لأن الوقت كان وقت

قيظ و حرٍّ و أن السفر كـان فـى ذلـك القـيظ، إنـه يـأوى إلى الظـل المـادى العريض الممدود، فيهتف بقلبه قبل لسانه «ربِّ إنـى لمـا أنزلـت إلىَّ مـن خير فقـير» يقـول: ربِّ إنـى فـى الهـاجرة، ربِّ إنـى فقـير، ربِّ إنـى وحيد، ربِّ إنى ضعيف، ربِّ إنى إلى فضـلك و كرمـك فقـير و محتـاج، فمن خلال كلامه وتعبيره يلتجىء إلى حمى الله تعالى و يطلب منه الخير فى كل شئون حياته فإن مستقبله أصبح مجهولاً.

- **ظهور الفتاة القدوة :**

عادت الفتاتان على غير العـادة فلـم يكـن هنـاك تـأخير ككـل يـوم فسألهما الشيخ الكبير عن سبب ذلـك فأخبرتـاه فـأراد الشيخ الكـبير أن يعطيه أجره.

﴿فَجَاءتْـهُ إِحْـدَاهُمَا تَمْشِـي عَلَـى اسْـتِحْيَاء قَالَـتْ إِنَّ أَبِـي يَـدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

لقد سأل موسى الخير من الذى بيده كل شىء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فما أجمل السـؤال ومـا أعـذب التعـبير، و مـا أسـرع الجواب، و ما أسرع الفرج جاءت إحدى المرأتين تدعوه لأبيها اسـتجابة من السماء لدعوة موسى الفقـير، فـالله قـيض قلـب الشـيخ الكـبير لإيـواء موسى و إكرامه.

﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء﴾ المرأتان هما : صفورا و ليا، و قيل : صَفُورا و شَرْقا، و قيل : شرفا بالفاء[1].

(رُوى عن عمر بن الخطاب أنه قال: كانت مستترة بكم درعها، ورَوَى ابن أبى حاتم بسنده عن ميمون قال: قال عمر: جاءت تمشى على استحياء قائلة — أى رافعة — بثوبها على وجهها ليست بسَلْفَع — أى جريئة سليطة — خَرَّاجة ولاَّجة — أى كثيرة الخروج من المنزل و الدخول إليه)[2]، فهى ليست جريئة و ليست بكثيرة الخروج من البيت و الدخول إليه.

وإن التعبير بقوله تعالى ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء﴾ يوحى بأنها ليست متبذِّلة ، و ليست متبرجة ، ولا متبجحة، تمشى مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقى الرجال، جاءت موسى لتنقل إليه دعوة أبيها دون أن تدع مجالاً للحوار معه فى أقصر لفظ و أخصر عبارة، فلا يسألها عن شيء بعد كلامها ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فمع الحياء الذى استعلته كانت الإبانة و الدقة و الوضوح، لا تلجلج ولا تعثر ولا ارتباك، و ذلك من إيحاء الفطرة السليمة النظيفة المستقيمة فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء

(١) انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ٦ – ص٢٣٩.
(٢) المرجع السابق.

الرجـال والحـديث معهـم و لكنهـا بثقتهـا وطهارتهـا واسـتقامتها لا تضطرب الاضطراب الذى يُطمع و يغرى و يفتح الباب للحوار إنما تحدثت فى وضوح بالقدر المطلوب ولم تـزد عليـه، و استجاب موسى فقابل العفة بالعفة.

قال كثير من العلماء: (قال عمر و ابن عباس و شريح القاضى و أبو مالك و قتادة و محمد بن إسحاق و غير واحد : لما قالت ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ قال لها أبوها : و ما علمك بذلك ؟ قالت: إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلاَّ عشرة رجال و إنه لَمَّا جئتُ معه تقدَّمت أمامه فقال لى: كونى من ورائى فإذا اجتنبت الطريق فاحذفى — أى ارمى — بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأتهدَّى إليه)[1].

- الحديث فى بيت الشيخ الكبير:-

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ، قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[2].

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩.
(٢) سورة القصص آية ٢٥ – ٢٨.

انتهى الطريق بموسى و مِنْ ورائه الفتاة العفيفة إلى بيت أبيها، فلما جاءه موسى و أخبره بأمره قال الشيخ الكبير ﴿لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لقد قدَّم له الأهم بالنسبة له وهو الأمن لأنه فى حاجة إليه قبل الزاد، واقترحت إحدى البنتين على أبيها اقتراحاً قالت ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾

- **استجابة الوالد لابنته:**

ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة و ميلاً فطرياً سليماً صالحاً لبناء أسرة. و القوة و الأمانة، حين تجتمعان فى رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التى لم تفسد ولم تُلوَّث ولم تنحرف عن فطرة الله فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض على موسى أن يزوِّجه إحدى ابنتيه فى مقابل أن يخدمه و يرعى ماشيته ثمانى سنين فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يُلزِم به موسى.

قال الشيخ الكبير: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهكذا فى بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد و لعله كان يشعر ما أسلفنا أنها محدَّدة وهى التى وقع التجاوب و الثقة بين قلبها و قلب الفتى وهى التى ذهبت إليه وحدثته لقد عرضها الوالد فى غير حرج و التواء،

فهو يعرض زواجاً و يعرض بناء أسرة و إقامة بيت، وليس فى هذا ما يخجل ولا ما يدعو إلى الحرج، و لقد كان الآباء يعرضون بناتهم على الرجال على عهد رسول الله ﷺ بل كانت النساء تعرض نفسها على رسول الله ﷺ أو من يرغب فى الزواج و كان ذلك يتم فى أدب جميل و صراحة و نظافة، ولا تُخدش كرامة ولا حياء، و هكذا صنع الشيخ الكبير مع موسى، و قبل موسى العرض و أمضى العقد فى وضوح و دقة و أشهد الله عليه فشهادة الضمان هى شهادة الله، قال موسى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فهذا عقد لا مجال للغموض فيه قالها موسى ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ سواء قضيت ثمانى سنوات أو أتممتُ عشراً فلا عدوان فى تكاليف العمل، ولا عدوان فى تحتيم العشر فالزيادة على الثمانية اختيار، و كلاهما أى الشيخ الكبير وموسى أراح صاحبه فقال الشيخ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ و قضى موسى العشر مع أن هذا كان اختياراً فليت النَّاس يتعلمون ذلك و بنى موسى ببنت الشيخ الكبير.

شَرْعُ اللهِ صيانةٌ للنساء والرجال

أيها الشباب أيتها الفتيات.. شرع الله لم يكن مطرقة على الغرائز الفطرية، ولا يئدها ؛ بل هو رحمة للخلق، ورحمة لكم، فالإسلام قد هذَّب هذه الغرائز ووجهها التوجيه السليم، وهو توجيه يضمن كرامة الفتاة و كرامة الفتى، وهو توجيه يكبح جماح الغرائز و اندفاعها، فلا تكون كالحيوان بل يضعها في قالبها الإنساني.

فالميل الفطرى بين الرجل و المرأة ميل عميق فى التكوين الحيوى لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود، وإثارته فى كل حين يزيد من عرامته و شدته، و يشعر الذكر والأنثى بدافع الإفضاء للحصول على الراحة معاً فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة و كان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة، فالنظرة تثير، والحركة تثير، و الضحكة تثير، والدعابة تثير، و النبرة تثير، و الكشف عن بعض الأعضاء يثير، وكل هذا تعذيب للنفس، ولقد سلك الإسلام منهجاً يقلل من هذه المثيرات ومن خطرها على الجنسين، فوضع قيوداً على النظر إلى الأجنبية أى التى تحل للرجل و على نظر المرأة إلى أجنبى عنها فقال ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [1].

---

(١) سورة النور الآيتان ٣٠ – ٣١.

فغض بصر الرجال عن النساء و غض بصر النساء عن الرجـال أدب نفسى ومحاولة للاستعلاء على الرغبة فى الاطلاع على المحاسن و المفاتن فى الوجوه و الأجسام كما أن فيه إغلاقاً لنوافذ الفتن و الغواية ومحاولـةً عمليةً للحيلولة دون اللقاء الجنسى، فحفظ الفرج مـن الزنـا هـو الثمـرة الطبيعية لغض البصر، فغض البصر هو مفتـاح الـتحكم فـى الرغبـة فـى مراحلـها الأولى، و مِـن ثَـمَّ ورد بيـان المسـئولية علـى السـمع و البصـر و الفؤاد فى قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْـمٌ إِنَّ السَّـمْعَ وَالْبَصَـرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(١).

ولقـد جعـل الإسـلام تلـذُّذ الرجـل بأعضـائه مـع المـرأة الأجنبيـة وهى ليست زوجه له وجعـل تلـذُّذ المـرأة بأعضـائها مـع رجـل أجنبـى؛ جعل ذلك زناً.

فعن النبى ﷺ قال «كُتِبَ عَلَىَ ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِـنَ الزِّنَـى، مُـدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَـةَ، فَالْعَيْنَـان زِنَاهُمَـا النَّظَـرُ، وَالأُذُنَـان زِنَاهُمَـا الاِسْـتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْـبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ »(٢).

و كذلك اللمس و التلذذ عن طريقه زنا.

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٦.

(٢) حديث متفق عليه و اللفظ لمسلم عن أبى هريرة.

سلوكيات محرَّمة

برزت على الساحات الاجتماعية سلوكيات يأباها الإسلام لأنها خرق لقوانينه وشرعه و آدابه، وهذه السلوكيات تنقص من كرامة الفتاة و المرأة، و تضعها فى الحضيض الأخلاقى، و قد تدمر مستقبلها الاجتماعى ففى المتنزهات نرى صوراً كثيرة لا حصر لها تتنافى و حياء المرأة، ومما نراه و قد تجاوز حدود الآداب كثير من الشباب يركب درَّاجة و أمامه فتاة يلتصق جسده بجسدها و يتحرك جسده بحركة رجله على بدَّال الدراجة فيقع الاحتكاك بين الجسدين فتوقد نيران الغريزة ولا يمكن السيطرة عليها من الطرفين فيقعان فى الإثم و المعصية.

لقد مرَّ «أحمد محرم» الشاعر المعروف على متنزهات القناطر الخيرية من سبعين سنة مضت فرأى الاختلاط بين الجنسين ورأى مقابر العفة فقال عن هذه المشاهد:

سِرْ يا رفيقى ليتنى فى مَحبسى ∴ ولسوف أمنع أنْ يُحَلَّ وثاقى
أهى القناطر فى بديع جمالها ∴ أم تلك بعض مقابر الأخلاق
لا تظلموا العُشَّاقَ يا قومى فما ∴ أبصرتُ غير مسارح الفُسَّاق
ودعوا العهود فما وجدتُ لمدَّعٍ ∴ فى الحب من عهد ولا ميثاق
الحب ما صَرَفَ القلوبَ إلى الهوى ∴ وسما إلى الجوزاء بالأخلاق
القبر أطيبُ من فؤاد منافقٍ ∴ خدع النفوسَ بظاهر برَّاق

لقد مر الشاعر أحمد محرَّم بالقناطر الخيرية ذات المتنزِّهات الجميلة فرأى الفتيان والفتيات يتساقون كئوس الهوى بل كئوس الفسق والفجور، فكان يجزع لما أصاب الأخلاق فى هذا المكان و يعتبر كل مكان فى هذه المتنزِّهات مقبرة من مقابر الأخلاق و ينفى أن يكون بين هؤلاء عهود الحب لأن الحب يُطهِّر النفس ولا يدنسها، بل الذى جمعهم نزوات شيطانية، والذى جذبهم كلمات النفاق المعسولة التى يتزلَّف بها الشباب إلى الفتيات ، و القبر أطيب من أفئدة أهل النفاق، الذين يخدعون نفوس الفتيات بكلام برَّاق ظاهر النفاق.

وأيضاً خروج الفتيات مع الفتيان إلى دور السينما حرام وتقع سلوكيات شيطانية يديرها الشيطان فى ظلام العرض.

و أيضاً نزول الفتاة مع الفتى إلى شواطئ البحار فى فصل الصيف تربطهما خيوط الخِطْبةِ الضعيفة المزقة فيقع الاثنان فى الإثم و يظن النَّاس أنَّ الخِطبة زواج و هى ليست إلاَّ حديثاً عن مشروع زواج يحتمل الصدق و الكذب قد يتم عن طريقها الزواج أو ينقطع.

- **تحذير الفتاة :**

أيتها الفتاة.. إياك أن تدخلى شباك الثعالب البشرية فإن هناك كثيراً من البشر يتخلقون بأخلاق الثعالب يتكلمون أعذب الكلمات، و يبثون أرق الكلمات و يركعون تحت أقدام الفتيات، و يمثلون جميع

أدوار العشاق الذين احترقت شغاف قلوبهم من نيران الحب، ويطمعون وُدّاً ووصلاً من الفتاة يطفئان نيران قلوبهم، فيلين قلب الفتاة رحمة بهذا المسكين الذى اكتوى بنيران العشق فتلتقى به شفقة عليه، فينهش الثعلب منها أغلى ما تملك فى حياتها فيتكرر اللقاء، ويتطور السلوك حتى تجد فى أحشائها جنيناً يتحرك ويهرب اللعين، ويذوب فى المجتمع و يتركها تواجه الهلاك وحدها وعندئذٍ لا ينفع الندم.

خَدعوكِ و أنت الأضحية

سبق أن تحدثنا عن الثعالب البشرية وهذه الثعالب تجيد اقتناص فرائسها بأساليب شيطانية، فلا عهد لهؤلاء ولا ذمة ولا دين فمخطئ من ظن يوماً أن للثعلب ديناً، و هذه الثعالب تطبِّق سلوكها مع كثير من الفتيات، ولا تقنع بفريسة واحدة، بل بكثير من الفرائس لأن الخداع صار يسرى فى دمائها، حتى لو تزوج الواحد منهم واحدة فإنَّه لا يطيق التخلى عن هوايته الشيطانية التى يمارسها مع النساء، و فى نهاية الطريق تصل الثعالب إلى غاياتها و الضحايا هم النساء.

و هذه صورة من الصور التى وقعت فى مجتمعاتنا ولم ينفع الندم، وأسوقها لكل فتاة، هى رسالة إلى مجلة «طبيبك الخاص» تطلب صاحبتها حلاً لمشكلتها من محرر باب «لو كنت مكانى» تقول:

(أنا فتاة شابة على قدْرٍ معقول من الجمال و الجاذبية من أسرة ثرية تحيطنى بكل أسباب الرعاية و التدليل و بلا أية مقدِّمات فقد بدأتُ حكايتى أو مأساتى فى ذلك اليوم المشئوم الذى عثرت فيه بطريق الصدفة على بعض الصور الفوتوغرافية و الشرائح «سلايذر» الملونة التى تصوِّر وبكل وضوح العلاقات الحميمة بين الذَّكر والأنثى فى «دُرْج» أخى الشاب الذى يكبرنى بعامين، و أدركت أنه لابد أحضرها من أوربا فى رحلته السياحية فى الصيف الماضى وليس من الصعب تصوُّرُ ما تفعله

هذه الصور بخيال شابة مثلى فى التاسعة عشرة من عمرها وفى قمة حيويتها و أنوثتها، لقد اشمأزَّت منها نفسى أول مرة رأيتها ثم بدأ الفضول يستبد بى و يدفعنى إلى تأملها، و أخيراً أدمنت النظر إليها كلما سمحت الفرصة فى غفلة من شقيقى، حتى إننى كدت أجن يوماً عندما لم أعثر عليها فى مكانها، ثم بدأت أحاول رسم ما رأيته من الذاكرة حيث إننى طالبة بإحدى الكليات الفنية، و بدأت أقيس الرجال من حولى بمقاييس أخرى غير التى كنت أعرفها، و سيطرت الأفكار الجنسية على أحلامى أيضاً، و أصبحت فى شوق و لهفة إلى أن أستمتع بالمغامرة وتجربة ما عرفته، وجاءت الفرصة عندما دخل بيتنا ذئب محنَّك، هو زميل أخى فى الكلية و فى رحلته إلى أوربا أيضاً، هو شاب رقيق أنيق وسيم — ابن ذوات — خفيف الظل، ابن محام كبير، — يلعب بالفلوس لعب — و حدث الاستلطاف المتبادل بسرعة شديدة، و ذهبت إلى موعدى الأول معه، بعد أن دسَّ فى يدى ورقة بالمكان والزمان.

و فى سيارته الصغيرة الأنيقة تبادلنا القبلات الملتهبة و ما يتبعها من لمسات صاعقة، استمتعت بها كثيراً، و تكرَّرت اللقاءات حتى أدمنتها، وأصبح لا يمر أسبوع إلاً ويتم اللقاء بيننا أكثر من ثلاث مرات، يستبيح فيها جسدى بإرادتى ورغبتى الملتهبة و كنت أعلل لأهلى غيابى المتكرر بالمحاضرات الإضافية و الأعذار المختلفة، و استطاع فى لقائنا الأخير أن يقنعنى بأن نلتقى فى مكتب والده فى يوم

عطلته الأسبوعية، بعد أن خدَّرنى بوعد بالزواج الذى كنت أتمناه من صميم قلبى، ولبيت رغبته كالمنوَّمة مغناطيسياً مع تمام علمى بما يمكن أن يحدث فى مثل هذا اللقاء المنفردة، وخرجت من مكتب والده و قد فارقت دنيا العذارى إلى الأبد.

و بكيت قليلاً ثم تكرر اللقاء فى أماكن مختلفة باعتبار أننا أصبحنا فى حكم المتزوجين مع الأخذ بجانب الاحتياط باستعمال وسائل منع الحمل التى يعرفها الجميع، واستمرت علاقتنا عدة أشهر، أصبحت فيها لا أستطيع الاستغناء عنه أبداً، وكما هى عادة الذئاب فى كل زمان ومكان، بدأ يتهرب من لقائى مرة بعد مرة فلمَّا حاصرته بطلبى إياه أن يفى بوعده بالزواج خوفاً من الفضيحة سخر منى، و قال لى إنه لم يجبرنى على شىء وأننى كنت أشدَّ رغبة منه فى هذا الموعد، و لما بكيت بين يديه، قال إنه مستعد لحل مشكلتى بأن يأخذنى إلى طبيب من أصدقائه يستطيع أن يعيدنى عذراء كما كنت فى مقابل مبلغ معقول، «و لا من شاف ولا من درى» هكذا بكل بساطة.

المصيبة الكبرى يا سيدى: إنه تقدم لخطبتى شاب ناضج رزين لا يمكن أن تحلم به أية فتاة فهو كما يقال «جاهز من مجاميعه» فى السادسة والثلاثين من عمره، وسيم، يتقاضى مرتباً «١٢٠٠ جنيهاً شهرياً» حيث يعمل رئيساً لأحد أقسام الكمبيوتر فى بنك استثمارى،

و يملك شقة جميلة فى حيٍ راقى، مجهزة بكل الكماليات و طبعاً رحَّب به أبى كل الترحيب.

أما أنا يا سيدى فقد أصابتنى حالة من الذهول و خصوصاً بعد ما قلت لحبيبى الذئب عن هذا العريس، فقال لى فى صفاقة تزوجيه على الفور فأنا لست جاهز للزواج، ثم اختفى بعد ذلك .

و تركنى فى حسرة و ألم، فأنا لم أعد صالحة للزواج و كذلك فإننى — و قد تُدْهش من ذلك يا سيدى أو تحتقرنى — أحب هذا الذئب المستهتر إلى درجة الجنون و الإدمان و أتمنى أن أرتبط به بأى ثمن كما أننى أحترم الشاب المتقدم للزواج منى و لكن ما باليد حيلة، فلو كان الأمر بيدى لتزوجته على الأقل ستراً لفضيحتى و طبعاً ذلك كان بعد أن فقدت أعز ما تمتلكه الفتاة وهكذا أحسست أن العالم ضاق بى واسودَّ وجهى، فهل أجد عندك يا سيدى و يا والدى الحنون حلاً لمشكلتى المعقدة ؟ حيث تراودنى فكرة الانتحار تخلُّصاً مما أنا فيه و قد زهدت الطعام الشراب و أصبحت لا أكاد أذوق النوم)[1].

فهذه الفتاة تستنجد بمحرر الباب وهو الأستاذ / ضياء الدين بيبرس، و ما الذى يفعله لها إلاَّ أنها تستضىء برأيه ولا ينفع الندم على عرض قد هُتك و على شرف قد مُزِّق و على مستقبل مجهول

(١) طبيبك الخاص العدد ٢١٩ الصادر فى مارس سنة ١٩٧٧.

محفوف بالمخاطر، فيا أيتها الفتاة، احذرى عالم الثعالب، و إياك و الانزلاق فى مستنقع الزواج العرفى، فهو مستنقع ماؤه ذو رائحة كريهةٍ تكرهها النفوس السوية، و هو مع هذا الماء فيه أشواك تمزِّق جسدك و تترك به آثاراً لا يضمدها الزمان، بل تبقى جراحاً مشعلاتٍ نيرانها فى مرقدِك فيصاحبها الندم والحسرة و لا يصدر عنك سلوك أو صوت فيه ترخيم ولا تُظهرى شيئاً يفتن الشباب فهذه السلوكيات تجلب عليك ثعالب البشر فيطمعون فيك فتكونين صيداً سهلاً لهذه الثعالب، قال تعالى ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (١).

فهذا أدب أمر الله به نساء النبى ﷺ و نساء الأمة تبع لهن فى ذلك، فنهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال بأن لا يكون فى نبراتهن ذلك الخضوع الليِّن الذى يثير شهوات الرجال و يحرك غرائزهم و يهيج رغائبهم حتى لا يطمع مرضى القلوب فيهن، و يقاس على ذلك كل سلوك يجذب الرجال إلى النساء.

- **يا معشر الشباب:**

احذروا موجات الفتن التى يموج بها المجتمع الإسلامى واقتحمت على النَّاس منازلهم ومضاجعهم وهذه الموجات من وحى وسائل الإعلام و التلفاز و القنوات الفضائية فهناك مساحات لعرض لحوم النساء

(١) سورة الأحزاب آية ٣٢.

فصارت هذه المساحات كحوانيت الجزارة، فاتقوا الله فى أنفسكم وخذوا من هذه الوسائل ما ينفع وذروا ما يضر فنحن نعيش فى جو أصبحت الفتن كقطع الليل المظلم فتن تهيِّج الشهوة وتنبِّه الغريزة، وتوقظ السُّعار الجنسى المحموم. فى هذا الجو سقطت من هذه الوسائل على بيوت النَّاس ومضاجعهم صُوَرُ نساء يتخنَّثن فى نبراتهن، ويتمتَّعن فى أصواتهن، و يجمعن كل فتنة الأنثى، و كل هتاف الجنس، و كل سعار الشهوة ثم يطلقنه فى نبرات و نغمات فَيُلَوِّثُ الجو الاجتماعى بذواتهن و حركاتهن وأصواتهن وهذا رجس يريد الله أن يذهبه عن عباده المختارين بالتوجيه الإسلامى، بأن ينأى المسلم ببصره عن هذا الرجس، فمن ترك النظر إليه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه (عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم من تركه مخافتى أبدلته إيماناً يجد حلاوته فى قلبه)[1].

(وعن أبى أُمامة ﷺ ، عن النبى ﷺ قال: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلاَّ أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها)[2].

وحينما صارت الفتن مطبقة فلا إثم فى نظرة الفجأة إن صرف الإنسان بصره و لم يستمر فى النظر (فعن جرير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفَجْأة، فقال: اصرف بصرك)[3].

---

(١) رواه الطبرانى. (٢) رواه الإمام أحمد. (٣) رواه مسلم.

فيا أيها الفتى و يا أيتها الفتاة.. لنا آداب في ديننا فعلينا أن نلتزم بها فإن خرجنا عنها عاقبنا الله عليها، ولنعلم أن أعمارنا على الأرض محدودة لها أجل مسمى ثم يكون الرحيل مهما طال العمر الطويل ثم نصير تراباً و يأتي يوم الفصل ليكون الحصاد فلقد مضت الدنيا وكانت مزرعة و تأتي الآخرة للثواب و العقاب.

نَهْىُ الإسلام عن الزنا و توابعه

الزنا: لقاء جنسى يتم فيه إيلاج الذكر عُضْوَهُ فى عضو أنثى لا تحل له فهذا اللقاء ليس فى ظل الزواج المشروع، و لقد حرمته الشرائع السماوية كلها و تأباه الطباع السوية.

فالزنا يرتكبه الإنسان الذى تجرد من إنسانيته، و صار حيواناً لا يفرق بين أنثى و أنثى، كل همه إشباع جوعة اللحم و الدم فى لحظة عابرة يكون مضطرباً خائفاً كلصٍ يسرق و يجرى، و الإسلام حين ينهى عن هذه الرذيلة فإنَّه لا يحارب الدوافع الفطرية ولا يستقذرها و إنما ينظمها ويطهِّرها و يرفعها عن المستوى الحيوانى و يرقيها حتى تصبح المحور الذى يدور عليه الكثير من الآداب النفسية و الاجتماعية.

- **الزنا مخالف للفطرة:**

الزنا يجرِّد الميل الفطرى من كل الرفرفات الروحية و الأشواق العلوية ويجرِّده أيضاً من الآداب التى تجمعت حول الجنس فى تاريخ البشرية الطويل، و يجعل الجنس عارياً غليظاً قذراً منحطاً كما فى الحيوان بل أشد قذارة منه، فالإسلام حين ينهى عن القرب منه فإنَّه يدفع النكسة الحيوانية عن الفطرة البشرية و يقى المجتمع الإسلامى من اختلاط الأنساب و إثارة الأحقاد، و تهديد البيوت الآمنة و إراقة الدماء.

● **نهى الإسلام عن الزنا:**

لقد نهى الإسلام عن هذه الجريمة فى أبلغ عبارة، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾(١)، و لقد توسطت هذه الآية آيتين تتحدثان عن القتل، فلقد سبقها قول الله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾(٢) ثم جاءت بعدها الآية المتحدثة عن النهى عن الزنا و جاءت بعدها الآية المتحدثة عن قتل النفس، قال تعالى﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ﴾(٣).

فلقد توسط النهى عن الزنا بين النهى عن قتل الأولاد و النهى عن قتل النفس لأن فى الزنا قتلاً من جهات شتى، إنه قتل ابتداء لأنه صب لمادة الحياة فى غير موضعها، يتبعه غالباً الرغبة فى التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة ترك فى الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة فهى حياة ضائعة فى المجتمع.

و الزنا قتل للمجتمع الذى يفشو فيه، لضياع الأنساب و اختلاط الدماء و ذهاب الثقة فى العرض و الولد و يتحلل المجتمع و تتفكك روابطه فينتهى الأمر إلى ما يشبه الموت.

إن الزنا قتل من جهة أخرى إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريق الزنا يجعل الحياة الزوجية نافلة مهمَّشة لا ضرورة لها فى الحياة

(١) سورة الإسراء آية ٣٢. (٢) سورة الإسراء آية ٣١. (٣) سورة الإسراء آية ٣٣.

و يجعل الأسرة عبئاً لا داعى إليه ما دامت الشهوة تقضى فلا داعى لِحِمْل الأسرة و تكاليفها و الأسرة هى المحضن الصالح للفراخ الناشئة و لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلاَّ فى أحضانه الدافئة.

وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلاَّ كان مآلها إلى الانحلال وظهور أمراض لم تكن معروفة لدى المجتمعات الإنسانية.

- **تحذير الإسلام من مقاربة الزنا:**

و القرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا و النهى عن مقاربته مبالغة فى التحرز منه، لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة، فالابتعاد عن مقاربته أضمن، فمن المقاربة الاختلاط و الخلوة و التبرج وإظهار الزينة والجسد و القبلة و المفاخذة و غير هذه الأشياء. من أجل هذا نهى الإسلام عنه و عن مقاربته.

- **فلسفة الرسول ﷺ فى معالجة الزانى:**

عن أبى أمامة قال: «إن فتى شاباً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا قال: فجلس .

قال: أتحبه لأمك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.

قال: أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم .

قال: أفتحبه لأختك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم.

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم.

قال: أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم.

قال: فوضع يده عليه وقال:

اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه.

فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

و يرد النهى عن تلك الرذيلة بجعلها جريمة تلى الشرك فعن الهيثم بن مالك الطائى عن النبى ﷺ قال: «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له »[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا.

- **توابع الزنا:**

يلحق بهذه الجريمة جرائم أخرى فى الإطار الجنسى و من هذه التوابع اللواط..

- **حكم اللواط:**

تلحق هذه الجريمة بالزنا فى حرمتها و أحكامها: فاللواط علَّةٌ شاذة و جريمة لا تشبع الإنسان جنسياً و ذلك لأنها بعيدة الأصل عن الملامسة الطبيعية فلا تقوم بإرضاء المجموع العصبى فالأعضاء التناسلية الطبيعية إذا كانت فى ظل لقاء شرعى بين الذكر و الأنثى تكون طبيعية.

أما إذا كان اللقاء يتم عن طريق اللواط فهناك فرق بين اللقاءين ناهيك بعدم صلاحية الدُّبُر فيكون وضعاً شاذاً، فيه ضرر قاتل للطرفين، فالموضع مناخ للجراثيم و الميكروبات و الفيروسات التى تصيب الفاعل، فهو موضع قذر يأنف منه الرجل السوى و مع هذا لا يطفئ نيران الشهوة، وأما المفعول به فإن اللواط يكون سبباً فى تمزُّق المستقيم وهتك أنسجته و ارتخاء عضلاته و سقوط بعض أجزائه و فقد السيطرة على التحكم فى الانقباض و الانبساط، فتتسرب المواد البرازية خارج المستقيم، فالذين يرتكبون تلك الجريمة دائمو التلوث بهذه المواد القذرة لأنها تخرج بغير إرادة.

- **الأمراض الناجمة عن اللواط:**

ولما كانت تلك الفاحشة غير طبيعية و غير فطرية فإنَّه ينجم عنها ضيق الصدر وخفقان القلب و تكون أجسامهم مرتعاً خصباً لمختلف العلل والأمراض؛ ومن جانب آخر فإن اللواط يضعف الأعضاء التناسلية و يضعف الحيوية المنوية ثم ينتهي الأمر بهذه الطائفة بالعقم و انقراضهم و زوالهم.

و اللواط لوثة أخلاقية و مرض خطير و من يعيشون في وحله يكونون سيئي الخلق فاسدي الطباع لا يميزون بين الفضائل و الرذائل، ضعيفي الإرادة ليس لهم ضمير يؤنبهم ولا وازع يردعهم، لا يتحرج أحدهم عن الاعتداء على الأطفال الصغار واستعمال العنف و الشدة لإشباع شهوته الفاسدة، و لقد حدثتنا الصحف و الجرائد عن كثير من هذه الحوادث و لقد ظهرت هذه الفاحشة في قوم نبي الله لوط و لما سيطرت على وجدانهم تلك الجريمة لم يفرقوا بين نافع وضار فطلبوا منه أن يأتيهم بعذاب بدلاً من الدواء و الرحمة، قال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٨ — ٢٩.

وقال تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1].

فاعترف اللوطية بطهارة غيرهم و إقرارهم بأنهم نجس و فى شأن عقابهم قال تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[2].

فالله يعاقبهم فى الدنيا و أعد لهم عقاباً فى الآخرة و فى شأن ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ (لعن الله من عمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عمِلَ عَمَلَ قوم لوط، لعن الله من عمِلَ عَمَلَ قوم لوط)[3].

وروى أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل و المفعول به).

ولقد ذهب كثير من العلماء إلى تطبيق حد الزنا على من ارتكب هذه الرذيلة و ذلك لآثارها السيئة، فمن شأنها أن تصرف الرجل عن المرأة و قد يبلغ الأمر إلى حد العجز عن مباشرتها و بذلك تتعطل أهم وظيفة من وظائف الزواج وهى إيجاد النسل.

(١) سورة النمل آية ٥٤ – ٥٦.
(٢) سورة النمل آية ٥٨.
(٣) رواه النسائى.

- **صورة فى الدرك الأسفل من الانحطاط فى عالم اللواط:-**

هذه رسالة من حائر ابتلى فى زوجتين تزوجهما يقول:

(تزوجتُ الأولى منذ خمس سنين وكانت تصغرنى بثلاث سنوات و أتصور أنه فارق مناسب و معقول فى الأعمار بين زوج و زوجته بدأت مشكلتى معها عندما راودتنى عن نفسها فى علاقة شاذة أرادت أن أمارس معها اللواط، رفضت فهذا الأسلوب لا يشبعنى و ألحَّت، فهذا الأسلوب هو وحده الذى يرضيها، فترت علاقتنا الخاصة بالطبع، و بحثتْ هى عن البديل و لسخرية القدر أنها على علاقة شاذة بامرأة أخرى، و بعد زجرها توقفتْ لفترة محدودة عن ممارسة شذوذها، وبعد أن واجهتها بحسم و أبدت ندمها بين الدموع التى سرعان ما جفت و تبخر معها ندمها وحيرتها بين الحياة السوية معى و بين علاقتها بتلك المرأة، فاختارت المرأة فكان الطلاق.

و تجربتى الثانية فى الزواج هى أكثر فشلاً و أسوأ أثراً على نفسى تُلحُّ علىَّ زوجتى الثانية فى اللقاء بها من الشرج أرضيتُها أكثر من مرة على حساب طبيعتى و رغبتى فتمادت فى انحرافها وكان الكيل قد فاض بى فتوقفت عن مسايرتها تماماً طلبتُ منها أن تعرض نفسها على العلاج النفسى فأبت، و رفضت، و أتصور أن سبب انفصالها عن زوج آخر سبقنى هو هذا الشذوذ، وبعد هجرانى لها فى المضجع وجَدَتْ بغيتها

فـى أطفـال الجـيران مـن الصـبية والغلمـان و بعـض التصـرفات الشـاذة الأخرى، هل أطلِّق الثانية و أصبح رجـلاً مزواجـاً فـى عـرف المجتمـع؟ أو أن أبحث لها عن علاج؟ و أين؟ ج. ع. م. مهندس بأسيوط)[1].

لقد ابتلى هذا الرجل ونحن الآن لا نعـالج و لكـن نسـوق أثـر هـذه الرذيلة التى فرَّقت بين زوجين و حطمت أركان الأسرة.

- **السـحاق:**

تكلمنا عن اللواط و بيَّنا أنه بين ذكـر و ذكـر فالـذكر يـأتى الـذكر الآخر فى دبره و تحدثنا عن آثاره أما السِّحاق فهو مباشرة أنثـى لأنثـى و قد يصل فيه الأمر إلى حد لا يستطيع أحد أن يفرق بينهما، فنجـد فـى المجتمعات الأوربية و الأمريكية إقرار حكومات هذه المجتمعات لهـذا الشذوذ، فلقد أقرَّت هذه المجتمعات الزواج بـين ذكـرين و الـزواج بـين أنثى وأنثى.

فهى بهذا قد خالفت تعاليم السماء، و لقد نهى الإسلام عن هـذا، وهو حرام باتفاق العلماء لما رواه أحمد و مسلم و أبو داود و الترمـذى أن رسول الله ﷺ قال (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل و لا المـرأة إلى عـورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد ولاتفضى المرأة إلى المـرأة فى الثوب الواحد) وحكمه التعزير وهو التعذيب و الإهانة دون الحد.

(١) من طبيبك الخاص عدد يناير ١٩٨٧ ص٤٦ . ٤٧.

● **إتيان البهائم :**

لقد أجمع العلماء على تحريم إتيان البهائم، وأنه بمنزلة الزنا رغم اختلاف العلماء فى تحديد الحدِّ فيه، و ذهب فريق من العلماء وهو الإمام أبو حنيفة ومالك و الشافعى فى قول له و المؤيَّد بالله و الناصر و الإمام يحيى إلى وجوب التعزير فقط إذ أنه ليس بزنا(١).

● **الاستمناء :**

هذه العادة السيئة تتنافى مع ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من الأدب وحسن الخلق، فاستمناء الرجل بيده أو غيرها و استمناء الأنثى مخالف لتعاليم الإسلام لأن الله تعالى قال فى وصف المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٢) فحصرت الآية الجنس فى الزوجة و الأمَة و ما عدا ذلك فهو مجاوز للحد، و يدخل فى ذلك الاستمناء و السحاق و توابع الزنا و القبلات حتى الإنزال و المفاخذة، وكل ذلك حرام بنص الآية.

و للأمانة العلمية أسوق آراء العلماء فى الاستمناء:-

قال بعض العلماء : هو حرام مطلقاً : وحجتهم فى ذلك الآية السابقة.

---

(١) أنظر فقه السنة جـ٢- ص٤٢٤.
(٢) سورة المؤمنون آية ٥ - ٧.

وقال بعضهم: إنه حرام فى بعض الحالات وواجب فى بعضها إذا خيف الزنا.

و قال بعض العلماء : يحرم لاستجلاب الشهوة و إثارتها.

و قال بعضهم: إنه لا بأس به إذا غلبت الشهوة و لم يكن عنده زوجة أو أمة و استمنى بقصد تسكينها.

و ذهب الحنابلة فقالوا: إنه حرام إلاَّ إذا استمنى خوفاً على نفسه من الزنا أو خوفاً على صحته و لم تكن له زوجة أو أمَة و لم يقدر على الزواج فإنَّه لا حرج عليه.

و أما ابن حزم فيرى أن الاستمناء مكروه ولا إثم فيه، لأن مس الرجل ذكره بشماله مباح بإجماع الأمة كلها، و إذا كان مباحاً فليس هناك زيادة على المباح إلاَّ التعمد لنزول المنى، فليس ذلك حراماً أصلاً لقوله تعالى﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾(١) وحكم المرأة مثل حكم الرجل فى الاستمناء وإنما يكره الاستمناء لأنه ليس من مكارم الأخلاق و لا من الفضائل(٢).

والذى أراه :

أنه ليس من مكارم الأخلاق ولا الفضائل و لكن إذا خاف المسلم على نفسه الزنا، واستمنى بدلاً من الزنا أو اللواط فقد ارتكب أخف

(١) سورة الأنعام آية ١١٩.
(٢) أنظر المرجع السابق.

الضررين و الله يغفر له، أما إذا اعتاد على هذه العادة فإنَّه قد دخل بها دائرة التحريم و الله يغفر له إن داوم على الاستغفار، فإذا غض المسلم بصره عن النظر إلى النساء و أجسادهن فإنَّه يستطيع التخلص من الاستمناء لأنه كلما أطلق بصره أراد أن يستمني، و كذلك ينبغي على المرأة أن تبتعد عن المثيرات.

اللقاء الجنسى المشروع
فى «الزواج»

لقد خلق الله الإنسان و كرّمه على سائر الخلق و الحيوان، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

فلما كان الإنسان مكرَّماً فى خَلْقه وذاته كرّمه الله فى سلوكه فأرسل إليه الرسل بالشرائع حتى يكون سلوكه كريماً يليق بهذا الإنسان المكرَّم، فيسمو بسلوكه عن سلوك الحيوان، و تتجلى إنسانيته فى اللقاء الجنسى المهذَّب الذى تظلله الشرعية، و هى مظلة الزواج، فالزواج هو الطريق الطبيعى لمواجهة الميول الجنسية الفطرية وهو الغاية الشرعية لهذه الميول العميقة، ففى ظله تتم اللقاءات الجنسية التى تلبى نداءات الفطرة و الغريزة، و لذلك أمر الله به قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾[2].

و قال تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠.
(٢) سورة النساء آية ٣.
(٣) سورة النور آية ٣٢.

لقد حارب الإسلام جميع اللقاءات الجنسية التى تخرج عن دائـرة الـزواج، و حـارب فيهـا الحيوانيـة التـى لا تفـرق بـين جسـد وجسـد، أو لا تهدف إلى إقامة بيت و بناء أسرة و إنشاء حياة مشتركة. بـل أراد من رياض الزواج إقامة علاقات جنسية على أساس من المشاعر الإنسـانية الرقيقة الراقية، التى تجعل من التقاء جسدين نفسـين وقلـبين وروحـين و بتعبير دقيق التقاء رجل وامرأة تربط بينهمـا حيـاة مشـتركة و آمـال مشتركة و آلام مشتركة و مستقبل مشترك، يلتقى فى الذريـة المرتقبـة، و يتقابل فى جيل جديد ينشأ فى عش الزوجية المشـترك، و الـذى يقـوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان.

فالمرأة مع زوجها خير متاع له، و لذلك وصفها الرسول ﷺ بقوله (الدنيا متاع و خير متاعها المرأة الصالحة)[1].

و لقـد وجـه الرسـول ﷺ الشـباب إلى الـزواج فقـال: «يـا معشـر الشباب من استطاع منكم البـاءة فليتـزوج، فإنَّـه أغـضُّ للبصـر و أحصـن للفرْج، ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء» [2].

و الباءة هى مؤنة الزواج من نفقة وسكن و قدرة جنسية.

ومعنى «فإن الصوم لـه وِجَـاء»: وقايـة مـن الفـواحش فهـو يهـدئ و يسكِّن من الشهوة.

(١) حدث متفق عليه.

(٢) حديث متفق عليه.

ومَنَ طَرَق باب الزواج ، ووقف ببـاب الله يرجـوه العـون ، فـإن الله يعينه. فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حـقٌ علـى الله عونُهم : المُكاتب الذى يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد فى سبيل الله»[1].

(١) رواه الترمذى.

اختيار شريك الحياة

الزوجة الصالحة قرة عين لزوجها، و زوجها الصالح قرة عين لها، و لقد دعا عبادُ الرحمن بدعاء، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[1].

و الرسول ﷺ بيَّن المرأة التى تقرُّ بها العين ووضع مقياساً لذلك فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال «تُنكح المرأة لأربع ؛ لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2].

فلقد جعل الرسول ﷺ ذات الدين هى المطلوبة أولاً لأنها ستتقى الله فى زوجها و تقوم بحقوقه. ولا تقصِّر فى إسعاده. و كذلك جعل للمرأة الرجلَ ذا الدين ولا يرده أهل المرأة، قال رسول الله ﷺ «إذا جاءكم من تَرْضَوْن دينه وخُلُقَه فأنكحوه، ثلاث مرات»[3].

ولا يمنع أن يكون مع ذات الدين؛ الجمال و المال والحسب.

يا معشر الشباب حذَّر الرسول ﷺ من فتن النساء فعن أسامة بن زيد قال «قال رسول الله ﷺ : ما تركتُ بعدى على أمتى فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[4].

وورد عن أبى سعيد الخُدرىِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الدنيا حلوةٌ خضرة و إن الله مُستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا و اتقوا فتنة النساء فإن فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»[5].

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٤. (٢) حديث متفق عليه. (٣) حديث متفق عليه.
(٤) حدث متفق عليه. (٥) رواه مسلم.

صبر و أمل

اللقاء الجنسى المشروع بين الرجل و المرأة يكون فى ظل الزواج، ونحن فى عصر سكب التعاسة على أجيال من البشر فأصبح الشاب يدلف إلى نفق مظلم لا يرى فيه بارقة أمل. وطال تَقَلُّبُ الشباب فى هذا النفق. و لقد كثرت فيه العثرات، و ليس له نهاية، فهو لا يجد عملاً مناسباً لشهادةٍ أفنى كثيراً من عمره فى الحصول عليها ثم جلس ينتظر عملاً، و العمل صار سراباً، و مع الشباب هناك دوافع الفطرة المركوزة فى جسده فهو بين نيرانها و بين نيران البطالة فلا يملك المال ولا الإيواء و لا الكساء ولا الغذاء ولا يجرؤ أن يتقدم إلى الحسناء.

- **يا معشر الشباب:**

علينا بالسعى إلى عمل شريف يدرُّ ربحاً ، ومهما كان مقامه فهو عملٌ شريفٌ طالما كان المال فيه من سبيل الحلال. وأن نلجأ إلى الله طالبين العون و نضع هذه الآية نصب أعيننا ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [1] فهذا أمر بالتخلق بالعفة بأن يبتعد الشاب عن المثيرات و أن يشغل فكره بعمل نافع و أن لا يذهب إلى مضجعه إلاَّ إذا غلبه النعاس، حتى لا يترك مجالاً للتفكير تسبح فيه نفسه، وتتحرَّك غرائزه و يدخل فى دائرة العذاب، أما إذا نام فإن النوم يحول بينه و بين التفكير، و من رحمة الله بالإنسان

(١) سورة النور آية ٣٣.

الاحتلام، فإذا احتلم أفرغ ماءه المنوى و تلذذ فى نومه ولا شىء عليه ولا إثم عليه، و يقوم و يغتسل و يصلى، و يكثر من الطاعات و يداوم على ذكر الله تعالى، و أن يتسلَّح بالصبر و ما أعظم الصبر عن ارتكاب المعاصى. وهذا نوع من أنواع الصبر فهو ثلاثة أنواع:

١- صبر على الطاعات. ٢- صبر عن المعاصى.

٣- صبر على البلاء.

فعلى الشاب و الفتاة الصبر على دوافع الغرائز، والبعد عن أوحال الرذائل فإن المرء إذا طلب العفة وسلك سبيلها، فإن الله يمنحه تلك الفضيلة، فعن أبى سعيد رضى الله عنه «أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شىء بيده: ما يكن عندى من خير فلن أدَّخره عنكم، ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن يستغن يغنه الله، و من يتصبَّر يصبِّره الله، و ما أُعْطِىَ أحدٌ عطاءً خيراً و أوسع من الصبر» (١).

ومعنى (ومن يستعفف يُعِفُّه الله) أى ومن يطلب العفة بابتعاده عن مواطن الرذيلة فإن الله يعينه و يحفظه و هذا حديث يضع معالم فى حياة الشباب و يمدهم بأطواق النجاة. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كُنْتُ خَلْفَ النبيّ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، إنّي أُعَلّمُكَ كلِمَاتٍ: احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْألِ الله، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أنّ الأُمّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ بشَيْءٍ لَمْ

(١) حديث متفق عليه.

يَنْفَعُوكَ إلاّ بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، ولو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرّوكَ بشَيْءٍ لَمْ يَضُرّوكَ إلاّ بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفّتِ الصّحُف»(١).

و فى رواية غير هذه الرواية «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللّه في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أنَّ ما أخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَاعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسراً»(٢).

وفى هذا الحديث معالمُ تهدى الشباب فى دياجير الحياة فالشاب الذى لم يوفق فى الزواج من فتاة كان يهواها، و الفتاة التى حالت الأقدار بينها و بين الذى كانت تتمناه، كل ذلك لم يكن من نصيبهما «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك» و من تزوَّج فتاةً كان يتمناها و كذلك الفتاة فإن هذا من مقادير الله «وما أصابك لم يكن ليخطئك» و من صبر فإن الظفر يكون مع الصبر و من ضاقت الدنيا به و عمَّه الكرب انبثق له نور الفرج و أن مع العسر يسرا، ومع هذا كله فالثقة بالله لا يزحزحها الكرب و لا العسر، ولا يعصف بها اليأس.

ومن سلك طريق الزواج فإن الله يعينه كما سبق فى الحديث الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ حَقّ على الله عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ في سَبيلِ الله، والمُكَاتَبُ الّذِي يُرِيدُ الأدَاءَ، والنّاكِحُ الّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»(٣).

---

(١) رواه الترمذى. (٢) رواه الإمام أحمد. (٣) رواه الترمذى.

لا ملجأ من الله إلاّ إليه

اعلموا أيها الشباب والفتيات أن الكون مِلْكٌ لله تعالى ولا يقع فى ملك الله إلاّ ما يريده الله. قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (١)، و قال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (٢)، والمقاليد هى خزائن السموات والأرض. و قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣).

فكل شىء بيد الله تعالى و بأمره و بقدرته ومقادير الأمور بحكمته و الملائكة طوع أمره و الخلق من ملائكة و إنس وجان و غير ذلك عبيد لله. قال تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٤)، و مع هذا لا يظلم ربنا أحداً قال تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (٥) و قال تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٦).

و لقد ورد فى الحديث القدسى كل هذا مع بيان الالتجاء إلى الله فى كل شىء فى طلب العطاء منه و فى غفران الذنوب و غير ذلك، فعن أبى ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ عن جبريلَ ﷺ، عن اللّه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبادي! إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَّالَمُوا؛ يا عِبادي! إنَّكُمُ الَّذينَ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وأنا الَّذي أغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلا أُبالي، فاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ؛ يا عبادي! كُلُّكُمْ جائعٌ إلاَّ مَنْ

(١) سورة الرعد آية ٨. (٢) سورة الزمر آية ٦٢ — ٦٣. (٣) سورة يس آية ٨٢.
(٤) سورة مريم آية ٩٣. (٥) سورة غافر آية ٣١. (٦) سورة فصلت آية ٤٦.

أطْعَمْتُهُ فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ؛ يا عبادي! كُلُّكُمْ عارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أكْسِكُمْ؛ يا عِبادي! لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً؛ يا عِبادي! لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا على أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لَمْ يَزِدْ ذلكَ في مُلْكي شَيْئاً؛ يا عِبادِي! لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كانُوا في صَعيدٍ واحِدٍ فَسألُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسان مِنْهُمْ ما سألَ لَمْ يَنْقُصْ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً إلاَّ كما يَنْقُصُ البَحْرُ أنْ يُغْمَسَ المِخْيَطُ فِيه غَمْسةً وَاحدَةً؛ يا عِبادي! إنَّما هِيَ أعْمالُكُمْ أحْفَظُها عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ»[1].

فإذا كانت هذه بعض أوصاف الله عزَّ جلاله و عمَّ نواله [2] فكل مخلوق دونه وعبده. تنزهت عن مشابهة الأمثال صفاتُه، و تقدَّست عن الأشباه ذاتُه، واحدٌ لا من قِلَّةٍ، وموجود بذاته لا من عِلَّةٍ، بالبر معروف، و بالإحسان إلى خَلْقِه موصوف، معروف بلا غاية، و موصوف بلا نهاية، أوَّلُ بلا ابتداء وآخرٌ بلا انتهاء، لا يُنسب إليه البنون، ولا يُفنيه تداولُ الأوقاتِ ولا توهنه السِّنون، كل المخلوقات قهرُ عظمته، و أمره بالكاف و النون، بذكره أنس المخلصون، وببابه وقف الخلق أجمعون، ولا يَرُدُّ أحداً من الداعين، يغضب إن لم يسأله ابن آدم، قريب ممن دعاه، ولا غرو فهو خالقهم، و الصانع لا تهون صنعته عليه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) النوال: العطاء.

يا معشر الشباب : هذا هو الطريق إلى الله و غايته الحفظ:-

الالتجاء إلى الله فيه النجاة من الشياطين و من الإنس و من الجن وفيه الرضا من الله على العبد.

- **وهذا هو الطريق:**

١- أن تبدأ حياتك بعد القيام من النوم مبكراً بالصلاة و بعد أن تنتهى من الفريضة بعد السُّنّة.

أ- تستغفر الله (١٠٠) مرة، وتسبحه (١٠٠) مرة، تقول فى الاستغفار «أستغفر الله العظيم» و تقول فى التسبيح «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، ومدة الاستغفار و التسبيح «أربع دقائق» بعدهما تقرأ آية الكرسى «سبع مرات».

ب- تقرأ سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١١١) مرة «فى ثمانى دقائق».

جـ- أن تصلى على النبى بأى صيغة عقب كل صلاة، و بعد ختم الصلاة (٢٠٠) مرة و يكون المجموع (١٠٠٠) صلاة على النبى.

٢- إن استطعت أن تقرأ من القرآن كل يوم جزءاً و تختمه فى شهر كان أفضل. و إن لم تستطع فافعل ما سبق و الجزء فى «ثلث» ساعة.

٣- إن استطعت أن تصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، كان خيراً.

٤- إن استطعت أن تصوم من كل شهر عربى ثلاثة أيام، الثالث عشر و الرابع عشر و الخامس عشر فافعل.

و إن لم تستطع قراءة جزء من القرآن و لم تستطع الصوم فعليك بالاستغفار و التسبيح و قراءة آية الكرسى وقراءة سورة الإخلاص كما سبق و تكرر الاستغفار و التسبيح و آية الكرسى فى المساء.

- **يوم كله تسبيح:-**

أيها الشاب أيتها الفتاة ما أكثر ما يحمله النَّاس من الذنوب، واليوم بليله ونهاره يمر ولو عددنا فيه الحسنات و السيئات لرأينا طغيان السيئات على الحسنات، وسنحاسب يوم القيامة على تضييع الوقت. قال رسول الله ﷺ «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1].

و ميقات اليوم بليله ونهاره (٢٤) ساعة و الساعة (٦٠) دقيقة و اليوم يشتمل على ٢٤× ٦٠ = ١٤٤٠ ألف و أربعمائة و أربعون دقيقة.

أسبح الله فى الصباح بعد ورد الصباح: الاستغفار والتسبيح و قراءة آية الكرسى و سورة الإخلاص أسبِّح بعد هذه الأذكار فى الصباح (٧٥٠) تسبيحة سبعمائة و خمسين فى ثمانى دقائق.

و أسبِّح فى المساء (٧٥٠) مثلها يكون مجموع التسبيح (١٥٠٠) تسبيحة فى اليوم، و أكون قد سبَّحتُ فى كل دقيقة تسبيحة.

---

(١) رواه الإمام البخارى.

أما عن الاستغفار: فقد قال رسول الله ﷺ : «نَّهُ لَيُغانُ على قَلْبي، وإني لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في اليَوْمِ مِائَة مَرَّةٍ»(١).

وقال رسول الله ﷺ « مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ»(٢).

و قال رسول الله ﷺ «مَنْ قالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إليْهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»(٣).

وأما عن التسبيح:

فقد قال رسول الله ﷺ «مَنْ قالَ سُبْحانَ اللّه العظيم وبحمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجنَّةِ»(٤).

وعن سعد بن أبى وقاص ﷺ قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ، أَلْفَ حَسَنَةٍ؟" فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ "يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ. أَوْ يُحَطّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(٥).

وعَنْ أُمِّ المؤمنين جُوَيْرِيَةَ أَنّ النَّبيّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصّبْحَ. وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ.

(١) رواه الإمام مسلم.
(٢) رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٣) رواه أبو داود والترمذى. و الحاكم و قال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم
(٤) رواه الترمذى عن جابر ﷺ وحسنه.
(٥) رواه الإمام مسلم.

فَقَالَ: "مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟" قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيّ ﷺ: "لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [1].

وأما عن سورة الإخلاص:

فقد ورد عن أبى سعيد الخدرى ﷺ: (أن رسول الله ﷺ قال: فى «قل هو الله أحد» والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن و فى رواية أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «قل هو الله أحد ألله الصمد» ثلث القرآن)[2].

وعن أنس ﷺ «أَنّ رَجُلا قالَ يَا رَسُولُ الله إِنّي أُحِبّ هَذِهِ السُورَةَ قُلْ هُوَ الله أَحَدُ، فقال: إِنّ حُبّكَ إِيّاهَا يُدْخِلُكَ الْجَنّة»[3].

وأما عن تلاوة القرآن:

فلقد ورد عن أبى أمامة ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ»[4].

---

(١) رواه الإمام مسلم.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن، ورواه البخارى فى صحيحه تعليقاً.

(٤) رواه مسلم.

وورد عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب اللَّه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»(١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ الَّذِي ليس فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»(٢).

وأما عن صيام يوم واحد:

فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدرى ﷺ «قال رسول الله ﷺ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبيلِ اللّهِ، إلاّ بَاعَدَ اللّهُ، بذَلِكَ الْيَوْمِ، وَجْهَهُ عَنِ النّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»(٣).

هذه أدلة الطرق التى يتقرَّبُ بها العبد إلى الله تعالى فإنَّه إن أحسن السيرَ فى دروبها فإن الله يكرمه و يرزقه التوفيق.

(١) رواه الترمذى.
(٢) رواه الترمذى و قال: هذا حديث حسن صحيح
(٣) حديث متفق عليه.

أيها الشاب.. أيتها الفتاة.. عندما تضيق الدنيا و يعزُّ المال و قد يكون هناك دَيْن فالطريق يكون إلى الله لأن الغنى بيده والفقر بيده و لله حكمة فى خلقه، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

واقتضت حكمته تعالى أن يُنزل الرزق بحسب حكمته فهو القائل ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢).

و قال الله تعالى ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا، كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا، انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (٣).

نَعَمْ: فضَّل الله بعض النَّاس على بعض فى الرزق وهذا للبلاء والاختبار فالفقر اختبار و الغنى اختبار، فكلاهما ابتلاء، قال تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (٤)، فالمراد بالخير المال، فإذا لم يأت

---

(١) سورة الروم آية ٣٧.

(٢) سورة الشورى آية ٢٧.

(٣) سورة الإسراء الآيات ١٨ – ٢١.

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٥.

المال فلا بكاء عليه لأن الإنسان سيسأل عنه من أين اكتسبه و فيما أنفقه؟ وهل أدى زكاته؟

عن أَبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفيمَ أَنْفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»[1].

ومن جهة أخرى إنْ كثرت الديون فلها عند الله حل فلنلجأ إلى الله فإنَّه وحده هو الذى يتصرف فيها فهو القائل ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [2].

وقال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [3]. فعليك أيها الشاب باتقاء الله وهذا حديث يدرأ ديونك و يحطها عنك:-

وعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن مكاتباً[4] جاءه فقال: «إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رَسُول اللَّهِ ﷺ لو كان عليك مثل جَبَلٍ ديناً أداه عنك؟ قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»[5].

فالجأ إلى الله، وادع بهذا الدعاء (١٠٠) مرة صباحاً ومساءً و بمشيئة الله سيجعل الله لك من أمرك يسراً، و الله قادر على ذلك.

---

(١) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح.
(٢) سورة الطلاق آية ٢ — ٣.
(٣) سورة الطلاق آية ٤.
(٤) المكاتب: عبد كاتب سيده على أن يتركه يتكسب ثم يسدد ثمن عتقه.
(٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

الخِطبةُ بداية طريق الزواج

الخطبة هى أول معْلَم من معالم الزواج وهى مـن مقـدِّمات الـزواج. و قد شرعها الله قبل الارتباط بعقد الزواج ليتعرف الرجل على صـاحبته و تتعرف صاحبته عليه، فهناك القسمة هـى التـى تجمـع بـين الاثـنين وهى من الله ﷻ وقد ينفران معاً و قد ينفر أحـدهما عـن الآخـر فـلا يـتم الزواج فليس بينهما ما يُعرف بالنصيب.

و تباح الخطبة من المرأة الخالية مـن الموانـع الشـرعية التـى تمنـع الزواج كالبرص والجذام من الطرفين والقرَن و الرتق فى المرأة والعُنَّةُ فى الرجـل. و أن لا يكـون بينهمـا تحـريم نسـب أو غـيره. و أن لا تكـون مخطوبة لغيره، فمن الصور التى لا تليق بالبشـر أن يـرى الرجـل امـرأة فتعجبه فيسأل عنها فيجدها مخطوبة فلا يمل من اقتحام منزلها و يُقدِّم لها أكثر فتلفظ الأسرةُ المسكين السابق، و ترضى بالثعلب الفاسق.

فعن عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْـنِ شُمَاسَـةَ أَنَّـهُ سَـمِعَ عُقْبَـةَ بْـنَ عَـامِرٍ عَلَـى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: (إِنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ. فَلاَ يَحِلّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَىَ بَيْعِ أَخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبَ عَلَىَ خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتّىَ يَذَرَ» حتى يترك)[1].

(١) رواه مسلم.

● **أيتها الفتاة.. ليس من حق الخاطب الخلوة بك:**

تتوق نفس الخاطب و تتوق نفس خطيبته إلى الخلوة وهذا حرام إلاَّ إذا كان فى وجود مَحْرَم لقوله ﷺ «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»(١).

إذا خلا الرجل بالمرأة كان الشيطان رسوله إلى قلبها ورسولها إلى قلبه، و يقع بينهما ما حرَّمه الله و يتمادى الاثنان فى الآثام، ثم يقع الخلاف - وهو وارد- فيذهب كل واحد فى طريق. من أجل هذا صان الإسلام كرامة المرأة، وجعل المعاملة فى إطار النظر فقط، فالنظر بين الخاطب والمخطوبة يرطب الحياة الزوجية و يجعلها محفوفة بالسعادة محوطة بالهناء.

ليعرف جمالها الذى يدعوه إلى الإقدام على الزواج منها. أو يعرف قبحها أو تعرف قبحه فينصرفان. فإذا لم ينظرا و لم يتعرفا وقع ما لا تُحمد عقباه. (قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره همٌّ و غم. و هذا النظر ندب إليه الشرع) (٢).

لقد ندب الشرع إلى النظر فى هذا الموطن (فعن جَابِر بن عَبْدِ الله قال قال رَسُولُ الله ﷺ: إذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى

(١) متفق عليه.

(٢) فقه السنة جـ٢ ص١٢٠.

مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ. قَالَ فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَها حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَاني إِلَى نِكَاحِهَا فَتَزَوَّجْتُهَا)(١).

ولقد ورد عَن الْمُغِيرَةِ بْن شُعْبَةَ أنه قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُول اللّهِ ﷺ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟» قُلْتُ: لاَ قَالَ: «فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ -أى يوفق و يؤلِّف- بَيْنَكُمَا»(٢).

وورد عن أبى هريرة ﷺ مثل ذلك(٣).

- **المواضع التى يباح النظر إليها:**

الأحاديث التى وردت لم تعيِّن مواضع النظر بل الغالب عليها الإطلاق بيد أن جمهور الفقهاء جعل محل النظر الوجه و الكفين فقط. لأنه يُسْتدل بالنظر إلى الوجه على الجمال أو الدمامة، وإلى الكفين على خصوبة البدن أو عدمه. و قال داود: ينظر إلى جميع البدن. و قال: الأوزاعى: ينظر إلى مواطن اللحم(٤).

و ليس هذا الحكم مقصوراً على الرجل بل هو حق مشروع للمرأة أيضاً فمن حقها أن تنظر إلى خاطبها فإنَّه يعجبها منه مثل ما يعجبه

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الترمذى و أبو داود و ابن ماجه.

(٣) فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟" قَالَ: لاَ. قَالَ: "فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الأَنْصَارِ شَيْئًا» رواه مسلم.

(٤) أنظر فقه السنة جـ٢ ص١٢٠.

منها. و لقد قال عمر «لا تُكْرِهوا فتياتكم على الرجل الدَّميم – وفي لفظ: القبيح – فإنهن يحببن مثل ما تحبون»[1].

وهناك صفات أخرى خُلُقية تُعرف بالوصف والاستيصاف والتحرى ممن خالطوها بالمعاشرة أو الجوار أو بواسطة بعض الأفراد ممن هم موضع الثقة من الأقرباء كالأم و الأخت وغيرهما.

فعن أنس ﷺ «أن النبي ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى جارية فقال: «شمِّي عوارضها وانظرى إلى عرقوبيها[2]»[3].

وإذا نظر الخاطب و لم تعجبه المخطوبة فليسكت ولا يقل شيئاً حتى لا تتأذى و يرحل فى صمت. وكذلك المخطوبة تفعل ذلك، ولا يدخلان فى حرب كلامية تُستخدم فيها أحطُّ الكلمات وأقذر العبارات و اختلاق أقبح الصفات: فليس هناك قسمة، فإذا حافظت الفتاة على نفسها و لم تُسلم جسدها لخطيبها فإنها تكون فى أمان، أما إذا أباحت جسدها لخطيبها وخالفت شرع الله فإنها تكتوى بنيران المخالفة . **وهذه صور الندم:**

---

(١) كنز العمال للمتقى الهندى. بر البنات.

(٢) العوارض: الأسنان. والعرقوب: عصب موثق خلف الكعبين.

(٣) الحديث رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات (مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى)

الصورة الأولى:

ع.ص: مهندسة: تقول:

(لقد دفعت ثمن تسليم نفسي قبل إتمام مراسم الزواج فأنا مسئولة عن تصرفي ويجب أن أتحمل نتيجة ذلك، تعرفت على شاب يعمل محاسباً في إحدى الشركات، بهرني أسلوبه المهذَّب و كرم أخلاقه. ومع مرور الوقت توطدت علاقتي به و استمرت علاقتنا بضعة أشهر بعد أن تقدَّم للزواج و بعد موافقة والدي تم كتْب الكتاب وسط مباركة الأهل و الأصدقاء و بعد أن انتهى الحفل وعاد المدعوون إلى منازلهم بقيت العروس في منزل أهلها، و كذلك عاد العريس إلى منزل أهله بعد أن تحدد موعد الزفاف بعد مرور ستة أشهر من تاريخ كتب الكتاب، و استمرت الأمور طبيعية بين العروسين و لكن في لحظة ضعف تحت مسمى أنها أصبحت زوجة شرعية سلَّمت له نفسها قبل الزفاف و بعدها اختفى دون أن تعلم عنه شيئاً لمدة شهر و فوجئت بخبر طلاقها و أصبحت مطلقة قبل الدخول و قد خسرت كل شيء سمعتها و أهلها)[1].

---

(١) جريدة محبوبتي الصادرة يوم الخميس ١ أغسطس ٢٠٠٤م

الصورة الثانية:

س.م. مدرسة تقول:

(تقدَّم لخطبتى طبيب و بعد موافقة والدى تم كَتْب الكتاب، و الاتفاق على إتمام الزفاف بمجرد الانتهاء من تجهيز منزل الزوجية وبعد مرور عامين على عقد قرانى دون زفاف و فى لحظة انفراد بيننا سلمت نفسى له بعدها سافر العريس وأرسل إليها ورقة الطلاق و أصبحت مطلقة قبل الدخول)[١].

فإذا أباحت الفتاة جسدها فى مرحلة الخطبة أو غير ذلك عرَّضت نفسها لمستقبل مجهول فالمخطوبة لا تجلس مع خاطبها إلاَّ فى وجود محرم، ولا تخلو معه حتى لا يلعب الشيطان برأسه و رأسها.

---

(١) الجريدة السابقة.

متى يبدأ الحبُ ومن الحبيب

يبدأ الحب بالزواج و الحبيبُ الزوجة، والزوج الحبيب، و رياضُهُ بيتُ الأسرة و عنادله و بلابله الذرية و الأولاد، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

لقد خلق الله فى الجنسين الذكور والإناث مشاعر يشعر كل جنس بدافع الالتقاء بالآخر وهذا الدافع يحرِّك نشاطهم و لكنهم قلما يتذكرون يد الله التى خلقت لهم من أنفسهم أزواجاً و أودعت فى فطرهم هذه العواطف والمشاعر وجعلت بين الأزواج وزوجاتهم سكناً للنفس و راحة للجسم و القلب واستقراراً للحياة و المعاش و أُنْساً للأرواح والضمائر و اطمئناناً للرجل و المرأة على السواء.

و لقد عبَّر القرآن عن هذه الصلة الروحية و الجسدية بين الزوج و الزوجة تعبيراً رقيقاً يصوِّرها تصويراً موحياً كأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب و أغوار الحس (لتسكنوا إليها) (وجعل بينكم مودة ورحمة) وهذا التعبير سما عن كلمة الحب. فالحب: هو ميل الطبع إلى الشيء المُلَذ، ولكن الذى بين الزوجين أسمى من هذا الميل: هو السكن والدفء و المودة والرحمة فتتضاءل كلمة الحب تحت أغصان هذه المعانى

(١) سورة الروم آية ٢١.

و بعد أن ساق الله هذه المعانى التى تكون بين الزوجين يقول (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ليدركوا حكمة الخالق فى خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر ملبياً لحاجته الفطرية و النفسية والعقلية و الجسدية، فيجد الزوجان فى اجتماعهما السكن والاكتفاء و المودة و الرحمة لأن تركيبهما النفسى و العصبى و العضوى ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما فى الآخر وائتلافهما و امتزاجهما و عند امتزاجهما يشعران بأنهما جسد واحد وروح واحد وبعد هذا الامتزاج يولد جيل جديد و يستمر النسل. من أجل هذا قال رسول الله ﷺ «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(١).

وشتان بين اللقاء الجنسى بين الزوجين و بين لقاء الزنا، فالهدف من الثانى صب ماء فى رحم لا يَحِلّ.

---

(١) رواه مسلم.

الرافد الأول

إنكار الذات

يعيش الزوجان تحت سقف واحد وعلى فراش واحد تعطى الزوجة لزوجها شيئاً لم يأخذه من أمه وهو اللقاء الجنسى، ويعطيها شيئاً لم تأخذه من أبيها. فهو أقرب إلى زوجته وهى أقرب إليه، تختلط أنفاسهما فى ليالى الشتاء الباردة فيجد كلاهما الدفء فى أحضان الآخر، آمالهما واحدة و آلامهما مشتركة ومصيرهما واحد، فاثنان بهذا الوصف تسقط بينهما الحواجز و تذوب بينهما الفوارق فلا هى رفيعة العماد ولا هو وضيع العماد ولا هو غنىٌّ ولا هى فقيرة، أحاسيسهما واحدة تفرح لفرحه، و تضيق لكربه، و تحزن لمرضه وهو كذلك، سحابات الاختلاف يدفعانها بعيداً، و اثنان بهذا الوصف ذاتهما واحدة.

و لقد أدركت امرأة فى العصر الجاهلى هذه المعانى، فساقت لابنتها وصيةً تجعلها منهاجاً فى أسرتها، ولا تدرى هذه المرأة العظيمة أنها صارت فيلسوفة بهذه الوصية التى لا تخرج إلاَّ من عقل كبير ينم عن شخصية اختارت معانى نفيسة وسبكتها بعبارات بليغة رصينة رقيقة زاد من جمالها سَجْعُها، و زاد من نفاستها معانيها الغزيرة التى وردت من خبيرة مجرِّبة، وهذه الفيلسوفة لم تنظر إلى غِنَى زوجها ولا إلى شرفه فى قومه فتطلب ذلك لابنتها؛ بل أنزلتها إلى مقامٍ وحالٍ

زوجها، فهى امرأةُ عوفٍ الشيبانى الذى كان من العزة بحيث (قيل فيه المثل العربى: لا حَرَّ بوادى عَوْف) [1]، وخطب البنت عمرو بن حجر جدُّ امرئ القيس. فالمرأة ساقت هذه الوصية:

أي بنية.. إن الوصية لو تُركت لِفَضل أدبٍ تُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومَعُونة للعاقل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لِغِنَي أبويها وشدَّة حاجتهما إليها كنتِ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقْنَ، ولهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك فَارقْتِ بيتك الذي منه خَرَجْتِ،

وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ،

إلى وَكْر لم تعرفيه، وقَرين لم تألفيه،

فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكا،

فكوني له أَمَةً يكُنْ لك عبداً وَشيكا،

يا بنية احْمِلِي عنى عَشْرَ خِصَال تكن لك ذُخْراً وذِكْراً:

أما الأولى والثانية فالصحبة بالقناعة،

والمعاشرة بحسن السمع والطاعة،

وأما الثالثة و الرابعة فالتعهُّد لموقع عينه، والتفقُّد لموضع أنفه،

فلاَ تَقَع عينُه منك على قبيح،

ولاَ يشم منك إلاَ أطيبَ ريح،

---

(١) الأدب والنصوص فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام ص٨٤.

والكحلُ أحسنُ الحسن، والماء أطيبُ الطيب المفقود،
وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه،
والهدو عنه عند منامه،
فإن حرَارة الجوع مَلْهبة،
وتنغيص النوم مَبْغَضَة
وأما السابعة و الثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله،
والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله
فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير،
والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير،
وأما التاسعة و العاشرة فلاَ تُفْشِي له سراً، ولاَ تعصي له أمراً،
فإنك إن أفشيتِ سِرَّه لم تأمني غَدْرَه،
وإن عصيت أمره أوغَرْتِ صَدْره،
ثم اتَّقِي مع ذلك الفرح إن كان تَرِحًا،
والاكتئاب عنده إن كان فَرِحًا،
فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير،
وكوني أشَدَّ ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراما،
وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطولَ ما تكونين له مرافقة،
واعلمي أنك لاَ تَصلِين إلى ما تحبين حتى تُؤْثِري رضاه على رضاك،
وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يَخِيرُ لك،

فحُمِلت فسُلِّمَت إليه، فعَظُم مَوْقِعُها منه، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن(١).

وفى هذه الوصية دعوة إلى إنكار الزوج ذاته مع زوجته و إنكار الزوجة ذاتها مع زوجها، عند ذلك لا يقصِّر الرجل فى إسعاد زوجته ولا تقصِّر المرأة فى إسعاد زوجها.

الرافد الثانى
عدم إهانة أحد الزوجين للآخر

تقوم الأسرة على اثنين: الزوج و الزوجة لكل واحد منهما أشياء منوطة به فالرجل عادة ما يسعى على الرزق وهو الذى يقوم على حماية حمى الأسرة، وللزوجة أمور اختصت بها، فطرها الله على ذلك وهى الحمل والولادة و قد يكون دورها أكثر فى إدارة بيتها والقيام على خدمة زوجها وأولادها و قد يكره الرجل من زوجته أمراً و قد تكره الزوجة من زوجها شيئاً فإذا كان فى أحدهما شىء يكرهه الآخر فلا يغفل الجوانب الحسنة الأخرى و قد تعالج هذه الأمور بحكمة وروِيَّة و فى شأن ذلك يقول رسول الله ﷺ : «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» (٢).

---

(١) مجمع الأمثال لأبى الفضل الميدانى
(٢) رواه مسلم.

فكثير من الأزواج يحلو له إهانة زوجته أمام أهله أو أهلها ولا يراعى شعور زوجته وكثيرات من النساء المتسلطات تبالغ فى إحراج زوجها أمام أهلها و ربما تسقط فى وحل إهانته. فإهانة أحد الزوجين للآخر زلزال يصدّع أركان الأسرة و يهدمها و يفرّق شملها. فالاحترام المتبادل المتولد من الحب يقوى بنيانها و يحميها من الهدم و التفرّق.

الرافد الثالث

حسن المعاشرة بالمعروف

لما كان الرجال قوّامين على النساء و قال الله فيهم ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ﴾ (١).

أمر الله الرجال بحسن المعاشرة فقال ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢).

لقد أمر الله الأزواج بحسن معاشرة الزوجات لأنها تقّوى الحبّ و تغذيه و لقد سبق أن سقنا سراً من أسرار المخ حين يتأثر بحسن المعاشرة يقول الأستاذ الدكتور/ أسامة الغنام (والحب باللغة العلمية النفسية «السيكولوجية» هو انعكاس شرطى أى يتولد الحب بين

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.

(٢) سورة النساء آية ١٩.

شخصين إذا أحسن أحد الشخصين المعاملة و تقرَّب بلطف و مودة إلى الآخر بصفة مستمرة بدليل أن أجدادنا و آباءنا القدماء أحَبُّوا زوجاتهم بعد الزواج بالعشرة نتيجة المعاملة الحسنة و المودة المستمرة و قد ينهار الحب أيضاً بالانعكاس الشرطى أى أنه إذا أساء المحب المعاملة بطريقة جافة مستمرة يتهدم هذا الحب الكبير و الدليل على ذلك أن كثيراً من المتزوجين الذين كانوا يحبون بعضهم حباً أشبه بحب العبادة يفترقون و ينفصلون أحياناً لأن الحب لم يجد ما يغذيه من المودة و المعاملة الطيبة المستمرة)[1].

وفى شأن ذلك يقول الرسول ﷺ مجيباً على سؤال يتعلق بحقوق المرأة فعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال: «قُلْتُ يَارَسُولَ الله مَا حَقّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قال: أَنْ تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إذا اكْتَسَيْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ فِي الْبَيْتِ»[2].

والمرأة هى الأَوْلى برعاية زوجها و هى أَوْلى أن يحسن معاملتها و لقد جعل الرسول ﷺ خيار النَّاس هو من يبالغ بفعل الخير مع زوجته قال رسول الله ﷺ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَاناً أَحْسَنُهمْ خُلُقاً. وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[3].

(١) د/ أسامة الغنام فى مقال له بجريدة الجمهورية الصادرة يوم ٣٠ / ٦ / ٢٠٠٤.
(٢) حديث حسن رواه أبو داود.
(٣) رواه الترمذى.

ومن جانب المرأة قال رسول الله ﷺ «الدّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدّنْيَا الْمَرْأَةُ الصّالِحَةُ»(١).

فقانون التعامل بين الزوج و زوجته و بين الزوجة و زوجها ؛ هو حسن الخلق لا يخرج الاثنان عنه فإذا استظل الزوجان بظل حسن الخلق عاشت الأسرة فى هدوء، وأمنت العواصف الهوج.

- **حقوق المرأة:**

و من حقوق الزوجة معاشرتها بالمعروف، وقد أوصى الرسول ﷺ بذلك، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «... اسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ، فَإِنّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنّ أَعْوَجَ ما فِي الضّلَعِ أَعْلاَهُ، فإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنّسَاءِ خَيْراً»(٢).

وقال رسول الله ﷺ «إِنّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَىَ طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا»(٣).

وكلام الرسول إن المرأة خلقت من ضلع، وقوله «وَإِنّ أَعْوَجَ ما فِي الضّلَعِ أَعْلاَهُ» ليس قدحاً فى المرأة ؛ بل هو معالجة و رحمة، فالمرأة

---

(١) رواه مسلم.
(٢) حديث متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

تضربها العادة الشهرية ويصاحبها ارتفاع فى درجات الحرارة و هدم فى جسدها وهبوط فى دورتها الدموية و تستمر أياماً و هذا يؤثر على تحملها أعباء الأسرة فعلى الرجل أن يراعى ذلك و لا يُحمِّلها ما لا تُطيق، فضلاً على ذلك فهى التى تحمل الولد فى أحشائها نطفة ثم علقة ومضغة وجنيناً فرحمها يدفع رجالاً و نساء، فأولادها فى جوفها يأخذون من صحتها و من طاقتها و من دمها فيؤثر ذلك على تحملها و فى شأن ذلك يقول الله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (١).

ومع الحمل العذاب و عند الوضع رؤية الموت و بعد ذلك الإرضاع و السَّهر كل ذلك يحمل الرجل على أن يراعى حالها و صحتها فليحمل جزءاً من هذا العبء الثقيل أو يتنازل عن بعض خدماتها التى اعتادها منها فإن هذا يربط شعوره بشعورها و أحاسيسه بأحاسيسها فلا يستغنى أحدهما عن الآخر.

الرافد الرابع
الاهتمام بالزوجة والترويح عنها

الزوجة لا تخالط الرجال الأجانب ولا تختلط برجل أجنبى فدائرة تعاملها مع الرجال ضيقة فليس لها إلاَّ زوجها و أولادها و الزوج قادر

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٥.

أن يوسع هذه الدائرة و يجعلها رحبة ويجعلها رياضاً يفوح منها الشذى و يتخللها الأريج فيهتم بها و بأبسط الأمور يبنى جسراً بين قلبها و قلبه و بأقل التعبيرات يسعد قلبها وهذا من أوامر ديننا و من سمات عقيدتنا فإطعامها بعض الأشياء الشهية و إيثارها عليك لك فيه أجر فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ (سعد بن أبى وقاص ﷺ قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَىَ الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ بَلَغَنِي مَا تَرَىَ مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إلاّ بنت لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ "لاَ" قَالَ قُلْتُ: أَفأَتَصَدّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ "لاَ، الثّلُثُ، وَالثّلُثُ كَثِيرٌ، إنّكَ إنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفّفُونَ النّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللّهِ، إلاّ أُجِرْتَ بِهَا، حَتّى اللّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيّ امْرَأَتِكَ)[1].

والزوج يكون مشاركاً لزوجته فى أحاسيسها ومشاعرها فالسباع الضوارى لا تضيع المشاركات الوجدانية بين أزواجها، فلقد رأيتُ فيلماً عن عالم الحيوان ذئباً و زوجته من اللون الأبيض الذى يعيش فى جبال أوربا فكانا يقطنان بالقرب من منطقة سكنية و يتحمَّل الزوج صنوفاً من العذاب فى سبيل الحصول على فريسة و ذات يوم وجد الذئبُ زوجين من الأرنب أكل واحداً فى جوفه وأتى بالآخر بين أنيابه، و بعد جهد كبير و مشقة عاد بالصيد فى فمه فوضعه أمام زوجته و صغيريه، و قاء

(١) حديث متفق عليه واللفظ لمسلم و هذا جزء من الحديث.

ما في جوفه فالتهمه الصغيران و ما بقى أكلته الزوجة، و ما أكل الذئب شيئاً و لم يُبْق شيئاً في جوفه رغم نحافته و فراغ بطنه.

ليت العلاقة بين الزوج و زوجته كعلاقة السباع الضوارى:

نظن أن السباع الضوارى قد تجردَّت من الرحمة حينما نرى شراستها في اصطياد فرائسها، وهذه الصورة هي إحدى الصورتين في شراستها والصورة الأخرى عند الدفاع عن مناطق النفوذ و الجنس و بينها و بين الزوجات الود و السكن، لقد طالعتنا صحيفة الأهرام بخبر عن موت أنثى أسد في حديقة الحيوان حين فرَّقوا بينها وبين زوجها.

إتاحة الفرصة للترويح عن الزوجة:

لا يقصِّر الزوج ولا تقصِّر الزوجة في الترويح عن الآخر ولما كان الزوجُ له الجانب الأكبر في هذا الأمر فهو منوط به ترويح زوجته فعن السيدة عائشة رضى الله عنها «أَنَّهَا كَانَتْ تَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: وَكَانَتْ تَأْتِينِي صَوَاحِبِي فَكُنَّ يَنْقَمِعْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ»[1].

(١) رواه الإمام مسلم.

كانت السيدة عائشة تلعب بالبنات المصنوعات من القماش وهى مخصوصات من الصور المنهى عنها لما فيها من تدريب النساء فى صغرهن لأمر أنفسهن و بيوتهن و قد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن [1]، وكانت صواحب السيدة عائشة ينقمعن أى يتغيبن حياء من رسول الله ﷺ فكان «يُسرِّبُهن» أى يرسلهن إليها وهذا من لطفه و حسن معاشرته[2].

ولقد ضرب الرسول أروع الأمثلة فى إتاحة الفرصة للزوجة فى رؤية الألعاب العفيفة فعن السيدة عائشة قالت «وَاللّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُومُ عَلَىَ بَابِ حُجْرَتِي. وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِرَابِهِمْ. فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ. لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَىَ لَعِبِهِمْ. ثُمّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي. حَتّىَ أَكُونَ أَنَا الّتِي أَنْصَرِفُ. فَاقْدِرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السّنّ، حَرِيصَةً عَلَى اللّهْوِ»[3].

ما أجمل هذا الدِّين و ما أعظم هذا الرسول حين سمح لزوجته برؤية الحبشة وهم يلعبون وكانت الطاقة التى ترى منها ما بين أذنيه الشريفتين وعاتقه ﷺ : أين أنتم أيها الأزواج من هذا التوجيه الإلهى يدخل الواحد بيته كالإعصار و يزعج الكبير و الصغير و يُعَيِّش زوجته فى قلق و رعب .. متى تعيش الأسر فى راحة و سعادة؟

---

(١) أنظر صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٥ ص٢٠٤.

(٢) أنظر المرجع السابق.

(٣) حديث متفق عليه.

الرافد الخامس

الارتواء الفطرى «الجنسى»

فى ظل الحياة الزوجية يرتوى الزوج و الزوجة جنسياً لأن الزوج لا يمارس هذا السلوك إلاّ مع حليلته ولا تمارس الزوجة هذا السلوك إلاّ مع حليلها فجسدها مباح لزوجها وجسده مباح لها، فلا بد أن يحرص كل واحد على إشباع الآخر فهذا اللقاء يروى عطشهما فلا يفكر أحدهما فى الزهد فى الآخر ولا يستعمل أحدهما هذا السلوك سلاحاً فى مضايقة الآخر، ولا غرو فهذا السلوك لا يتم إلاّ بمشاركة الطرفين فبه يلبى كلاهما النداءات الفطرية ولا يُسْتعمل فى المضايقة فتشعر الزوجة بحاجة زوجها إليها فتتأى عنه و بعد عناء من طلبها تترك له جسدها دون مشاركة هذا لا يشبع الجوع الجنسى، وإن الله يحاسبها على تهربها منه، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»(١).

ولو دعا الرجل زوجته إلى فراشه لقضاء حاجته فلتترك ما بيدها و تذهب لقضاء حاجته فعن أبى علىٍّ طلق بن علىٍّ «إذا دعا الرّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِه، وإنْ كانَتْ عَلَى التَّنُّورِ»(٢).

---

(١) حدث متفق عليه.

(٢) رواه الترمذى.

ولا يهمل الرجل نداءات زوجته الفطرية فقد يمنعها حياؤها من البوح بفطرتها ولا يستخدم الرجل ذلك سلاحاً لمضايقتها لأن هذا حقُّها ولا تمارسه إلاَّ معه، ولا أحد غيره، فعن محمد بن مَعْن الغفارى قال «أتت امرأةٌ إلى عمرَ بن الخطابِ ﷺ فقالت يا أميرَ المؤمنين: إن زوجى يصوم النهار و يقوم الليل و أنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله ﷻ. فقال لها نِعْمَ الزوج زوجُك، فجعلت تكرِّر هذا القول و يكرِّر عليها الجواب. فقال له كعب الأسدى يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه. فقال عمر: كما فهمتَ كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: علىَّ بزوجها فأُتى به فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، قال: أفى طعام؟ أو شراب؟. قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيها القاضى الحكيم رُشْدُه ∴ ألْهَى خَليلى عن فراشى مَسْجِدُهْ
زهَّده فى مضجعى تَعَبُّدُه ∴ فاقض القضاءَ كعبُ ولا تَرُدُّهْ
نهاره وليله ما يرقدُه ∴ فلستُ فى أمْرِ النِّساءِ أحْمَدُهْ

فقال زوجها:

زهَّدنى فى النِّساءِ وفى الحَجَلْ[1] ∴ أنى امرؤٌ أذهلنى ما نَزَلْ
فى سورة النَّحلِ و فى السبْعِ الطُّول ∴ وفى كتاب الله تخويفٌ جَلَلْ

---

(١) الحَجَل: الخَلْخال و الزينة.

فقال كعب:

إنَّ لها عليك حقاً يا رجلْ ∴ نصيبُها فى أرْبَع لِمَن عَقَلْ
فأعطِها حقَّها ذاكَ ∴ ودعْ عنك العِلَل

ثم قال إن الله ﷻ قد أحلَّ لك من النساء مثنى و ثلاث و رباع فلك ثلاثة أيام و لياليهن تعبد فيهن ربك.

فقال عمر: والله ما أدرى من أى أمريك أعجب؟ أمِنْ فهمك أمرهما أم من حُكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتُك قضاء البصرة»[1].

والإسلام جعل اللقاء الجنسى بين الرجل و زوجته من الصدقات التى يثاب عليها وكذلك المرأة تثاب على ذلك وهذا المنهج يغلق أبواب الفتن و أبواب الشر على الأسرة و المجتمع. و لقد وضَّح ذلك رسول الله ﷺ. فعَنْ أبي ذَرَ (أنّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النّبِيّ ﷺ قَالُوا لِلنّبِيّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدّثُور بالأُجُور. يُصَلّونَ كَمَا نُصَلّي. وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ. وَيَتَصَدّقُونَ بفُضُول أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللّهِ لَكُمْ مَا تَصّدّقُونَ؟ إنّ بكُلّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةً. وَكُلّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ. وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ)[2].

---

(١) فقه السنة جـ٢ ص٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) رواه الإمام مسلم.

الرافد السادس

عدم ترك الزوجة والذهاب للعمل سنين طويلة

عصفت الأزمة الاقتصادية بكثير من المجتمعات الإنسانية فيترك الرجال بلادهم راغبين فى الحصول على المال حتى يأمنوا الفقر فيترك الرجل زوجته و أولاده الصغار وسط مجتمع يموج بأنواع من البشر فيه كثير من الذئاب التى تبحث عن فريسة هجرها زوجها و راح يبحث عن لقمة العيش فتحاول هذه الذئاب الالتفاف على الفريسة بشتى أنواع الشباك مع استعمال أرق الكلمات و أعذب العبارات و الانحناء وعرض الخدمات و التنازل عن الكرامات و يصل الأمر بهذه الذئاب البشرية أن يقول لمن يريد أن يوقعها فى شباكه «أنا خدَّامك». أنا لا أنام الليل لأنى أفكر فى مشاكلك، ويقضى حاجاتها فى سرعة و يظهر أمامها بصورة الأنيق المؤدَّب الذى يسيل من فمه العسل وهو يختفى وراء هذه الصورة حتى تقع المرأة المسكينة فى شباكه فحبيب القلب تبدد حبه لبعاده و صورة هذا الشيطان تلوح فى سماء المرأة كلما تحركت و تكون الكارثة و تتآمر على الغائب فيُقتل حين عودته أو يجد المرأة هربت معه و تُرك الأولاد فى ساحة الشوارع. و صور ذلك:

الصورة الأولى:

حادثة روَّعت قلوب المصريين، أثارت جريمتها الشنعاء استياء الرأى العام المصرى وكانت حديث البيوت المصرية و تتلخص قصتها مع

سفر الزوج للمرة الثانية إلى إحدى البلاد البترولية بعد أن كانت الأسرة سافرت إلى ليبيا حيث مقر عمل الزوج فى أول الأمر ثم تركهم ليسافر بمفرده و يشترى «تاكسى أجرة» و خوَّل العمل عليه لأحد السائقين و الذى لقى الاهتمام والعناية والرعاية من الزوجة فتوطَّدت العلاقة بينهما و تشابكت خيوطها و يكتشف الابن الأكبر أمر هذه العلاقة الآثمة ، و يهدد الأم بأنها إذا لم تقطع هذه العلاقة من جذورها فسوف يبلغ والده ، فتدبر الأم الأمر بالاتفاق مع ابنتها و صديقها السائق فتتخلص من الابن بالقتل إرضاء للعشيق و عندما يعود الزوج تتخلص منه كما تخلصت من ابنها و بالاتفاق أيضاً مع ابنتها وصديقها)[1].

الصورة الثانية:

(عاد الزوج من عمله بالخارج ليُفاجأ بهروب زوجته مع الآخر و أولاده فى الشارع. عاد الزوج من عمله بالمملكة العربية السعودية سعيداً بما حققه من مال وهدايا طول عام لأسرته المكونة من زوجته «ربة بيت» و التى تركها لرعاية أولاده الأربعة أكبرهم ست سنوات و أصغرهم ثلاث سنوات. و للإشراف على استوديو التصوير الذى يمتلكه بشارع الأمل بالمطرية للصرف من إيراده إلى جوار ما يرسله إليها من مال، لكنَّ الزوج لم يتصور أن هناك مفاجأة تنتظره لا تخطر على بال ولا حتى فى أفلام السينما فقد وجد ثلاثة من أطفاله لدى الجيران فى

(١) مجلة أكتوبر العدد (٥١٢) الصادرة بتاريخ ١٩٨٧/٨/١٧.

حالة يرثى لها و سأل عن زوجته فأخبروه بأنها تزوجت من مساعده في الاستوديو «نجيب إسماعيل أحمد» وطار صواب الزوج فهي ما زالت في عصمته ولما أفاق سأل عن ابنه الرابع وفوجىء بالمصيبة الثانية حيث أخبروه بأنه خرج و ضل الطريق ولم يعد فما كان من الزوج إلاَّ أنه قدم بلاغاً إلى اللواء أحمد فهمي مساعد وزير الداخلية للجوازات و الهجرة و الجنسية بعد أن عرف أنها هربت مع الزوج الثاني للخارج)(١).

فبُعد الزوج عن زوجته بالأشهر الكثيرة يتركها هدفاً للذئاب البشرية، و إذا طال السفر يتمزق الرباط بين الأولاد و أبيهم، و قد لا يعرف الأبناء آباءهم فإذا أنهى أعماله في الخارج و أتى إلى البلاد يكرهون وجوده لأنهم أصبحوا يُسْألون عن سلوكهم و تصرفهم.

فتَحْتَ عنوان همسة خاصة في صحيفة «محبوبتي»:

(قالت بصوت حاد مشحون بالغيظ و الغضب و هي تخاطب صديقتها: أبي لم أعد أطيقه و أتلهف على اليوم الذي يفارقنا فيه و يرحل عن هذه الدنيا... ما الذي دفع هذه الفتاة الشابة طالبة الجامعة إلى حافة الكراهية العليا و الحنق على أبيها وتتمنى زوال أثره من الدنيا مع أنها لا تعاني من أي اضطراب نفسي أو خلل عقليّ.

---

(١) جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ٢١ / ١١ / ١٩٧٨.

إنها تعكس أزمة حادة فى التربية لأب غاب عن الأسرة سنوات طويلة استمرأ فيها جمع المال حيناً و ما تصوَّره راحة بال وبُعد عن وجع الدماغ و صداع الأولاد ثم عاد بعد فوات الأوان ليمارس دوره الحقيقى لكن هيهات هيهات، وأنى له ذلك فقد اتسع الخرق على الراقع)[1].

ولما كان بُعد الزوج عن زوجته التى ذاقت المضاجعة معه و أصبحت من لوازم حياتها فهذا البُعد يضر بالأسرة.. أمر عمر بن الخطاب بأن لا يحبس أحدٌ من الجند أكثر من ستة أشهر فلقد خرج (عمر بن الخطاب ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيراً إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها تقول:

تَطَاول هذا الليلُ و ازورَّ جانبُه ∴ وأرَّقَنى ألا ضَجيعَ أُلاعِبه
أُلاعبُه طوراً و طوراً كأنَّما ∴ بَدَا قمراً فى ظلمة الليل حاجبهْ
يُسَرُّ به من كان يلهو بقُربه ∴ لطيفَ الحشا لا يحتويه أقاربُهْ
فواللهِ لولا الله لا شىءَ غيْرُه ∴ لنقض من هذا السرير جوانبُه
ولكنَّنى أخشى رقيباً موكَّلاً ∴ بأنفسِنا لا يَفْتُر الدَّهْرَ كاتبُهْ

فلما سمع عمر قول هذه المرأة، سأل ابنته حفصة رضى الله عنها: كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر.

فقال عمر: لا أحبس أحداً من الجيوش أكثر من ذلك)[2].

---

(١) محبوبتى الصادرة بتاريخ ١ / ٧ / ٢٠٠٤.

(٢) أنظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ١ ص٣٤٩.

ومعنى قول المرأة:

طال هذا الليل ومال جانبه فتكاثر طوله حتى أبعد النوم عن جفونى، فهل من مضاجع فى فراشى يضاجعنى، فألاعبه طوراً، وطوراً يطول اللعب كأنما أضاء وجهُهُ كالقمر وهنا مجاز مرسل حيث أطلقت الجزء وهو الحاجب و أرادت الكل وهو الوجه. هذا الضجيع يُسرُّ به من يلهو بالقرب منه لطيف رقيق القلب ليس لأهله عليه سلطان بل هو مِلْكٌ لها. ثم أقسمت بالله لولا الله مطَّلعٌ عليها لضاجعت على سريرها مضاجعاً فاهتزت جوانب السرير و لكنها تخشى رقيباً موكَّلاً بالعباد لا ينقطع حفظته عن الكتابة و تسجيل أفعال العباد أبداً.

ولكنَّ عمر ﷺ لم يعنِّف المرأة و لم يرسل إليها لأنها تتحدث عن خواطر نفسية ولم يصل الأمر إلى الوقوع فى وحل الرذيلة؛ بل هى خائفة من الله، وعالج الأمر حيث أعلن أنه لن يُحْبَس أحد فى الثغور أكثر من أربعة أشهر أو ستة أشهر.

فالزوج الكيِّس لا يترك أسرته؛ بل يصطحبها معه حتى لا يفقدها، أو يبحث عن أعمال إضافية و يطلب من الله زيادة الرزق.

الرافد السابع

عدم خروج المشاكل الأسرية عن دائرة الزوجين

حياة الأسرة بين مدٍّ وجزر و قبض و بسط وإعصار وهدوء و خصام و صلح، و انسجام ولذة وآلام، وسعادة وحزن، وهذه حلاوة الحياة فلو كانت على حال واحدة لسئمها النَّاس والزوجان يتوقفان عند الإعصار و الخصام و الخلاف فيعالجان الموقف بهدوء لأن ميدان الأسرة ليس فيه منتصر و مهزوم بل حبيبان يختلفان فيتنازل أحدهما للآخر فمرة تتنازل الزوجة ومرة يتنازل الزوج فإنهما نفس واحدة و قلب واحد و شعور واحد لقد قال الله عن هذا الرباط بين الرجل و زوجته ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (١).

فالتعبير: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ هذا التعبير لا يكون إلاَّ لذاتين فى ذات واحدة فالصلة بينهما تستر كلا منهما وتقيه.

فليس الزوج و الزوجة فى ميدان حرب بل فى عُش الزوجية يعمل كلاهما على إسعاد الآخر وإرضائه و اللؤم غير وارد فى علاقتهما.

لا يُدخلان أحداً بينهما فى خصام، فإنَّ النَّاس ما بين حاسد عليهما، و بين جهول لا يزن الأمور، فربما أراد الإصلاح فأفسده جهله، أو تسلل ذئب إلى البيت يريد سوءاً، و كل من أراد تدمير أسرة

(١) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٢) رواه أبو داود و النسائى.

أو سعى فى خرابها فأفسد العلاقة بين زوجين فليس من أمة الإسلام.

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِىءٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا» (٢). ومعنى «خبَّب»: أى أفسد وخدع.

الرافد الثامن

مساعدة الزوجة لزوجها مالياً ما أمكن

الحياة الزوجية حقل يعمل فيه الاثنان الزوج و الزوجة تنبت بينهما شجيرات وهما المسئولان عن رعايتها وحمايتها من الآفات وهما مسئولان عن تربية الأولاد، وهذا الحقل لا يقوم العمل فيه على راع واحد، بل هما راعيان، فهما يعملان جنباً إلى جنب، كلٌّ فى اختصاصه المنوط به، ويأتى وقت على الزوج يحتاج فيه إلى المساعدة المالية، عندئذٍ تمد إليه يدها بالمساعدة إذا كانت تملك و تقدر على ذلك. فمن العار أن تتركه و تكتفى بمشاهدة عذابه و حيرته فهذا لا يوطِّد العلاقة بينهما. بل يصدِّعها، وبهذا الفعل وأمثاله يُقتل الحب، ولا ينسى الزوج ذلك و يقوم بتعييرها.

أما إذا مدت له يد العون فإن هذا يأسره، وفى أقرب فرصة من اليسر يعوضها. و الذى يمد الغير بالعون لا يُرَدِّدُ ذلك حتى لا يُذِلَّ الطرف الآخر، فإنْ أرادت أن يكون هذا المال الذى ساعدت به زوجها مالاً من الصدقة فإنَّه يحسب من زكاة مالها، و فى نفس الوقت صلة رقيقة بينها و بين زوجها وأولادها.

- صورة وضيئة عند المسلمين:

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللّهِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "تَصَدَّقْنَ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ" قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ. فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِئُ عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ . حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ . فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلاَنِكَ: أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "مَنْ هُمَا؟" فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "أَيُّ الزَّيَانِبِ؟" قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللّهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: "لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» (1).

لقد علَّمت زينبُ الثقفية نساء الأمة فى مخاطبتها لزوجها:

أولاً: حين أمر الرسول ﷺ بالصدقة على النساء انصرف شعورها لزوجها وأولادها و ذلك لحبها لهم فهم أولى من غيرهم.

(1) متفق عليه.

ثانياً: حين ذهبت إلى زوجها لم تُطرق سمعه بكلمة «إنك فقير» بل كنَّت له بأسلوب فيه رقَّة و ذوق، فقالت: «إنك رجل خفيف ذات اليد» وهذا احترام لمشاعر زوجها.

ثالثاً: قالت لزوجها إن رسول الله ﷺ: قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله «فإن كان ذلك يُجزئ عني و إلاَّ صرفتُها إلى غيركم» زادت من احترامها لمشاعر زوجها فلم تقل له: إن الصدقة عليك و على الأولاد تجزئ عني وإلاً صرفتها إلى غيركم» فلم تجرح شعور زوجها.

رابعاً: حين طلبت منه الذهاب إلى رسول الله ﷺ وهذا لمصلحته ولأولاده قال: بل ائتيه أنت: عزَّة النفس مع زوجها و مع هذا احترمت عزة نفسه ولم تراجعه بل انطلقت تسأل رسول الله ﷺ.

هذه امرأة كانت في جزيرة العرب تخلَّقت بخلق الإسلام، وكانت قريبة عهد بهذا.

فشتان بين صورة هذه المرأة المسلمة، و بين صورة امرأة أوربية نسوقها فيما يلي:

- صورة وضيعة فى أوربا:-

تحت عنوان :

«ألمانى قتل زوجته بعد أن بترت رجولته»

فى صحيفة الجمهورية [1].

(لم يتمالك رجل ألمانيٌّ أعصابه بعد أن أفقدته زوجته رجولته و قامت بإخصائه بسكِّين خبز يبلغ طوله (٢٥ سنتيمتراً) و أمسك به و أخذ يجرى وراءها والدم ينزف منه بين أرجاء المنزل ولم يتركها إلاَّ بعد أن أخذتْ نصيبها من الطعنات النافذة فى أنحاء مختلفة من جسدها لتقع على الأرض و تلفظ أنفاسها الأخيرة وسط بركة من الدماء. ووقتها شعر الزوج أنه أخذ ثأره لرجولته و انتصر لها).

هذا هو سلوك المسلمات فى الصورة الأولى، و سلوك النساء الغربيات فى الصورة الثانية.

الرافد التاسع

زينة المرأة لزوجها

من الروافد التى تغذى شجرة الحب: ظهور المرأة أمام زوجها بزينة تُفرح فؤاده و ينشرح لها صدره فتظل فطرته حيَّة، ومن العجب العجاب أن تخرج المرأة فى أبهى زينتها و تسير أمام النَّاس وعندما

(١) العدد الصادر فى ١٩ / ٦ / ٢٠٠٤.

تدخل البيت تأتى إلى الملابس القديمة البالية فتعرض نفسها على زوجها بالقديم البالى، أو بالملابس التى كانت ترتديها وقت دخول المطبخ، فلا يشم منها إلاَّ رائحة البصل و الثوم و رائحة السمك أو الشواء، و قد اختلطت بعَرَقها فصار عطراً لا تستطيع إنتاجَه أعظم مصانع العطور فى فرنسا، و قد يعترض بعض الأزواج على هذا الأريج فلا يجد من زوجته إلاَّ العِناد والتمادى فى إرسال عبقها إلى الزوج.

- **أيتها الزوجات:**

الزينة أساساً للزوج و ليست للمجتمع، و الزينة تعرضها المرأة لزوجها ، و ليس على ذى المحارم شيء فى رؤيتها فهناك استثناءات، قال تعالى ﴿... وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١).

(١) سورة النور آية ٣١.

فإبداء الزينة فى أول الآية المراد به الوجه والكفّان، وإبداء الزينة للبعل ما هو زائد على ذلك و لذلك كُرِّر النهى، و تكرار النهى يدل على اختلاف المنهى عنه، فالمرأة تُبدى الزينة للزوج ولا تهمل نفسها فالمجتمع كثُرَ فيه التَّبرج ، وقد تقع عينه على نساء يبالغْن فى إبداء الزينة فيعقد محاورة بينه و بين الشيطان، و تكون كارثة حين يقارن بين النساء اللائى ليس عليهم أعباء منزلية و بين زوجته القائمة على خدمته و خدمة أولاده، فالإسلام حث على أن تبدو المرأة أمام زوجها فى صورة حسنة و فى جو طبيعى بعيداً عن الروائح الكريهة المنفِّرة.

فقد روى الترمذى عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال «آخى النبى ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأبي الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً. فقَالَ لها: مَا شَأْنُكِ ؟ قَالَتْ: أخوك أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدّنْيَا، فجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَاماً فقَالَ له: كُلْ فَإنّي صَائِمٌ. قالَ مَا أَنَا بآكل حَتّى تَأْكُلَ، قالَ فَأَكَلَ. فلَمّا كَانَ اللّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُوم. فقَالَ لَهُ: نَمْ فَنَامَ. ثُمّ ذَهَبَ لِيَقُومَ، فقالَ لَهُ نَمْ، فَنَامَ. فلَمّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْل، قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الآنَ، فَصَلَّيَا. فقَالَ له سَلْمَانُ: إنّ لِرَبّكَ عَلَيْكَ حَقّاً و لِنفسكَ عَلَيْكَ حَقّا، ، ولأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَأَعْطِ كُلّ ذِي حَق حَقّهُ، فَأَتَيَ النبيَّ ﷺ، فذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فقَالَ النبيّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»(١).

(١) رواه البخارى.

فالله سبحانه وتعالى يحب أن يستمتع عبيده بنعمه الظاهرة و الباطنة وهو القائل ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٢).

ولقد سبق حديثٌ للرسول ﷺ «الدنيا متاع و خير متاعها المرأة الصالحة». فالزوج يستمتع بها إذا كانت فى هيئة مُفْرحة للقلب و إذا كانت فى صورة مُشْرِحَة للصدر. ولا تكتم أنفاس زوجها بروائح كريهة و الزينة تكون داخل منزلها و غرفة نومها.

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٢

(٢) سورة القصص آية ٧٧.

هذا اللون من الحب لا هدف من ورائـه إلاَّ أنـه يخلـق فـى الـنفس القلق و الاضطراب و الدمار. فالحب المشروع هـو للزوجـة و الـزوج وهـو يثمر السَّكَن والمودة و الرحمة. فالرجل الذى يحـب زوجـة غـيره مفتـونٌ لا عقل له، والمرأة التى ترمى ببصرها إلى غير زوجها مفتونـةٌ لا كرامـة لها، فزوجها منخرط فى عمله يسعى لكسب لقمة العيش، و ينتقـل مـن بلد إلى بلد ليطعمها وأولادها، ثم تنظر إلى غيره فهى مصابة بالجنون.

و طالب فى المرحلـة الثانويـة يطعمـه أبـوه يجـرى و يلـهث وراء الفتيات والحب؛ هذا مُصاب بالجنون، فأحلام المراهقـة هـذه إن لم يكـن لهـا كـابح لجماحهـا فهـى قنابـل مـدمِّرة للمسـتقبل ، و كـذلك طـلاب الجامعة، فهذه الألوان ليس وراءها إلاَّ الفضيحة و الخراب.

و لقد ساق القرآن هذا اللون من الحب الموءود فى **قصة يوسف**.

فلقد أحَبَّت امرأة العزيز فتاها (يوسف) القـائم فـى القصـر، وهـو حُبٌ غايته إشباع نزوة شيطانية، و صبٌ ماء فقط، وهـو حـبٌ عـارٍ عـن أهـداف العلاقـة الزوجيـة الرشـيدة ، وهـى السـكن والمـودة و الرحمـة و الارتواء الجنسى، وإنجاب الذرية الصالحة. و ليس فيـه لـذة باقيـة، لأن مثوى صاحبه فى الهاوية.

قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ، وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ، قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).

---

(١) يوسف آية ٢٢ — ٣٤.

هذا هو الجزء الذى نريده من قصة يوسف: فقد دخل القصر بعد أن التقطته السيارة و أخرجته من الجُبِّ، و بيع فى مصر وانتهى به المطاف إلى قصر العزيز، يفع الغلام ونما و صار بدراً فأسر مهجة امرأة العزيز، و مع الجمال أوتى رجاحة العقل ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وحين فتنت به بدأت بأساليب جذبه إليها فأعيتها الحيل ثم تتحدث الآيات عن المحاولة الأخيرة و الحيلة العارية ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لك﴾ فالمراودة هى الحيلة المكشوفة و فيها عرضٌ لزينتها و مفاتنها و دعوتها له عن طريقها سافرة، مآلها إلى اللقاء الأخير والذى يسبقه تغليق الأبواب، و قد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التى هاج جسدها لتلبية نداء الشهوة فخرجت عن طبيعة بنى جنسها، فالمرأة عادة تكون مطلوبة لا طالبة. فقالت: (هيت لك) ما قالت المرأة هذه المقالة السافرة الجاهرة إلاَّ بعد أن اضطرت إليها اضطراراً و عجزت عن اختراق حصن عفة يوسف.

فقال رداً عليها وجسده يموج بانفعالات الفطرة بيد أنه كبح جماحها و أحكم زمامها فساقها، وليست هى التى ساقته إلى مستنقع الرذيلة، فردَّ عليها ردَّ المتأبِّى الواثق المتذكِّر نعمة الله عليه. و يتذكر حدود الله وجزاء من يتجاوز هذه الحدود: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ و بعد سلسلة من الإغراءات أبى يوسف ولم يملك أمام أعاصيرها إلاَّ الاعتصام بالله. واعترفت امرأة العزيز بهذا الموقف فقالت

﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ﴾ اللام واقعة فى جواب قسم محذوف. و الله لقد راودته عن نفسه فازداد اعتصاماً بالله.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ولقد همت به ليضاجعها مع الرغبة فى إتمام النزوة وهمَّ بها حين خرجت دوافع فطرته من كمونها فهو إنسان له غرائزه و لو لم يكن كذلك ما كان هناك معنى لقوله تعالى ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فالرجل سيطر سيطرة كاملة على دوافعه الفطرية رغم إيقادها و إلحاحها فخشية الله حالت بينه وبين امرأة العزيز و لم يترك للغرائز فرصة تحقق أهدافها فانطلق بعيداً عن مسرح الجريمة حتى لا تقع فجرى نحو الباب و تبعته امرأة العزيز وكان الحوار بين الزوج وامرأته. وفاحت الرائحة خارج أسوار القصر لتتحدث النسوة عنها ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فهذا الحب شيطانى و يأباه الإسلام و من كان على شاكلته يرفضه الإسلام.

إعصار مُدَمِّر للمستقبل اسمه
«الزواج العرفى»

قبل الحديث عن ما يسمى بالزواج العرفى أسوق حادثة أوردتها إحدى الصحف المصرية تحت هذه العناوين الثلاثة:

«العشـــاء الأخـــير»

«حكاية الفيشاوى الصغير تتكرر فى الخصوص بسيناريو آخر»

«الأب المسجون دمه (حامى) طلب من زوجته ذبح الزوج العرفى فوراً»

هذه العناوين الثلاثة التى تعرض بعض الآثار السيئة للدمار العرفى و ساقت هذه الحادثة لتُلحقها بأختها وهى حادثة ابن فاروق الفيشاوى و فاروق هو الكبير وابنه الصغير و قد تزوج زواجاً عرفياً و أنكر هذا الزواج الذى ولد فى ظل السحابة السوداء «الزواج العرفى»

(حكاية الفيشاوى الصغير تكررت فى مدينة الخصوص بمحافظة القليوبية ولكن بسيناريو آخر الأب دمه «حامى» وعندما أخبرته زوجته وهو فى السجن بما اقترفته ابنتها من زواجها بحبيبها عرفياً دون علم الأسرة جن جنونه و أصدر فرماناً غير قابل للاستئناف أو النقض بذبح الزوج العرفى أينما وجد نفَّذت الأم تعليمات زوجها واستعانت بأحد أقاربها للتخلص من زوج ابنتها العرفى و لم تكذِّب خبراً واستدعت الزوج العرفى بحجة دعوته على العشاء بعد أن أخبرته أنها باركت هذا الزواج و بعدها حضر واستقبلته بترحاب ثم قدمت له البسبوسة و بها

مـادة مخـدرة و راح فـى غيبوبـة، ابتسـمت الأم و أخرجـت مـن طيـات ملابسها سكيناً و قامت بذبحه بالاشتراك مع قريبها و قاموا بوضعه فى جوال و حمله إلى الرشاح».

وبدأت أحداث هذه الواقعة حينمـا نشـأت بـين «مـروة» و «عمـاد» قصة حب عنيفة التقى الاثنان أكثر من مرة واختلسا الحب الممنوع الـذى بدأت ثماره تظهر عليها حينما حملت منه فى شهرين و كـان لابـد مـن درء هذه الفضيحة: طلبت «مروة» من «عماد» أن يتزوجهـا رسميـاً لكنـه أخذ يروغ منها روغان الثعلب بحجة أنه لا يملك من حطام الـدنيا شيئاً و أنه لا يملك أمـوالاً يسـتطيع بهـا أن يؤسـس عـش الزوجيـة. لم يجـد الاثنان أمامهما سوى الزواج العرفـى و بعـد ثلاثـة أشـهر بـدأت ملامـح الجريمة تظهر على الفتاة وهنا نجح «عماد» فى سـرقة الورقـة العرفيـة ووجدت الفتاة نفسها أمام فضيحة كبرى بعد أن أخـذت الألسـن تلوكهـا و أصبحت حديث النَّاس و أمسكت الأم بها فـى هيسـترية وسـألتها عـن فتاها وأخبرته بأنه «عماد» ولأن والدها يقضى فـترة عقوبـة فـى السجن فقد أسرعت إليه زوجته فى محبسه و حينمـا سـألها عـن مـروة أجابتـه بأنها تزوجت عرفياً و أن الورقة سرقها منها «عمـاد» هـبط الخـبر علـى رأس الأب كالمطرقة و لم يتمالك الأب نفسه وصرخ فى زوجتـه لابـد مـن ذبح هذا الشرير)[1]. و نفذت الزوجة الوصية. هذا ما نريده من الحادثة.

---

(١) جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٩ / ٦ / ٢٠٠٤.

العقد العرفى من أوهن الخيوط

الفقه الإسلامى تشريع معجز ينبئ عن صدق رسالة الرسول ﷺ فهو أمِّى. وهذا الفقه من الله هو قانون يحل جميع القضايا البشرية إلى أن تقوم الساعة، ومن القوانين المتعلقة بالزواج أنه: (لا يصح عقد النكاح إلاَّ بولى و شاهدى عدل و يفتقر الولى و الشاهدان إلى ستة شرائط: الإسلام و البلوغ و العقل و الحرية و الذكورة و العدالة إلاَّ أنه لا يفتقر نكاح الذمية إلى إسلام الولى ولا نكاح الأمة إلى عدالة السيد:

و أولى الولاة: الأب ثم الجد أبو الأب ثم الأخ للأب و الأم ثم الأخ للأب ثم ابن الأخ للأب و الأم، ثم ابن الأخ للأب ثم العم ثم ابنه) (١).

هذا مذهب الشافعية، و الدليل على أن الولىَّ أصلٌ وركن فى صحة عقد الزواج، فعن أبى بردة عن أبى موسى قال: (قال رسول الله ﷺ «لا نكاح إلاَّ بولى») وهذا الحديث رواه الترمذى و أحمد و البيهقى وصححه ابن حبان والحاكم. و قد ورد عن السيدة عائشة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال « أيُّما امْرأةٍ نَكَحَتْ بغير إذْنِ وَلِيِّها فَنِكاحُها باطِلٌ ثلاثاً فإن أصابَها فعليه المَهْرُ بماَ اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهاَ فإن اشْتَجَرُوا فالسُّلْطانُ وَلِيُّ منْ لاَ وَلِيَّ له ».

(١) متن الغاية و التقريب ص٤٠، ٤١.

وهذا الحديث أخرجه أبو داود و الترمذى و ابن ماجه و ابن حبان و الحاكم و البيهقى. و بعد هذا الحديث نطرح آراء الفقهاء:

(لقد اختلف العلماء فى اشتراط الولى فى النكاح:

فذهب الجمهور- معظم العلماء- إلى ذلك — أى اشتراط الولى- و قالوا: لا تُزوج المرأة نفسها أصلاً.

و ذهب أبو حنيفة: إلى أنه لا يشترط الولى أصلاً. و يجوز أن تُزوج المرأة نفسها ولو بغير إذن وليها إذا تزوجت كفؤاً. واحتج بالقياس على البيع فإنها تستقل به.

و حَمَل الأحاديث الواردة فى اشتراط الولى على الصغيرة و خص بهذا القياس عمومها وهو عمل سائغ فى الأصول وهو جواز تخصيص العموم بالقياس لكن حديث «معقل» يدفع هذا القياس و يدل على اشتراط الولى فى النكاح دون غيره، و انفصل بعضهم عن هذا الإيراد بالتزامهم اشتراط الولى ولكن لا يمنع ذلك تزويج نفسها و يتوقف ذلك على إجازة الولى)[1].

فيا أيها الشباب و يا أيتها الفتيات:

ما تفعلونه تخدعون به أنفسكم فعقد العرف ليس عقداً صحيحاً و ثمرته ندم وهو طريق محفوف بالمخاطر كله شوك لا زهرة فيه فلنترك هذا الطريق و لنعش فى راحة بال حتى يأذن الله بابن الحلال.

---

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى جـ٤ ص١٩٦.

بعد أن تدخل المرأة عش الزوجية تتكشف لها أمورٌ أخفاها الزوج فإن استطاعت أن تتحمَّلها و تطلب منه برقة أن يتخلى عنها و أن تصبر على ذلك فقد يأتي الوقت الذى يتخلى فيه الزوج عن هذه الأمور التى تكرهها الزوجة، و قد يأتى وقت تتخلى الزوجة عن الأشياء التى يكرهها الزوج ، وكلاهما ينظر إلى الصفات الحسنة بشرط أن لا نعاند، فلسنا فى ساحة معركة؛ بل فى رياض أسرة.

و هذه امرأة مؤمنة رضيت بالزوج فأكرمها الله.

روى الإمام أحمد بسنده «عن أبي برزة الأسلمي: أن جُلَيْبيباً كان امرأً يدخل على النِّساء، يمرُّ بهنَّ ويلاعبهنَّ، فقلت لامرأتي لا يدخلنَّ عليكم جُلَيْبيب فإنَّه إن دخل عليكم لأفعلنَّ ولأفعلنَّ، قال وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيِّمٌ لم يزوجها حتى يعلم هل للنَّبي ﷺ فيها حاجة أم لا، فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار زوِّجني ابنتك، فقال نعم وكرامة يا رسول الله ونُعْمة عين، أى قُرَّت عين، فقال إني لست أريدها لنفسي قال فلمن يا رسول الله؟ قال لجليبيب قال فقال يا رسول الله أشاور أمَّها، فأتى أمَّها فقال رسول الله ﷺ يخطب ابنتك فقالت نعم ونُعْمة عين فقال إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب فقالت

أجليبيب إنيه[1] أجليبيب إنيه لا لعَمْرُ الله لا تزوِّجـه فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمها قالت الجارية مَن خطبني إليكم فأخبرتْها أمُّها، فقالت أترُدُّون على رسول الله ﷺ أمره ادفعوني فإنه لن يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره قال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله ﷺ في غزاة له قال فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه هل تفقدون من أحد قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال انظروا هل تفقدون من أحد قالوا لا قال لكني أفقد جليبيبا قال فاطلبوه في القتلى قال فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه النبي ﷺ فقام عليه فقال قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه وحفر له ما له سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ ثم وضعه في قبره ولم يُذْكر أنه غسَّله قال ثابت فما كان في الأنصار أيِّم أنفق منها – أى من زوجته – وحدَّث إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتا قال هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ ؟ قال اللهم صُبَّ عليها الخير صبًّا ولا تجعل عيشها كدًّا قال فما كان في الأنصار أيِّم أنفق منها»[2].

(١) إنيه: كلمة يستعملها العرب فى الإنكار.

(٢) رواه أحمد و ساقه الحافظ ابن كثير فى تفسيره جـ٦ ص٤٢٠.

ولقد قرأت فى الأصمعيات من سنين: أن الأصمعى رأى امرأة كالبدر يسير بجانبها بعلها وهو دميم جداً فقال لها الأصمعى يا أمة الله كيف صِرْتِ زوجةً لهذا الرجل قالت:

لعلَّه أحسن فيما بينه و بين ربه فجعلنى الله جزاء له.

ولعلنى أسأتُ فيما بينى و بين الله فجعله الله عقاباً لى

وأنا رضيتُ بقضاء الله

فعلينا بالرضا طالما أن السفينة تسير و نستطيع الصبر و أن لا نيأس.

قد تعصف بالأسرة أعاصير تقتلع شجرة الحب و ذلك بسبب انقطاع الروافد التى تغذّى تلك الشجرة، فأثناء الأعاصير الهوج لا تطلب الزوجة من زوجها الطلاق، فإنها بذلك تُشعل الجو بشواظ من نار فلتصمت ولا تتكلم، فإن رأت أن مغادرة البيت إلى ساعات سيُرجع الهدوء فلتستأذن، و إن أبى فلا تغادر، أو الرجل يخرج حتى يهدأ ثم يعود ، و يحاول الاثنان نزع فتيل الأزمة، أو يدخلان حجرة النوم و تحتضنه لدقائق تُذهب بثورته و إياكِ و الطلاق. فإن القلوب فيها رمق من الحب بيد أن الانفعالات تطغى على هذا الرمق فإذا سكن الغضب فإن نسمة مركزها الحب ستخرج و تمر على القلوب تحمل وُدّاً وعواطفَ و معانيَ تمحو كل غلطة أو كبرياء و يعود الحنين إلى استئناف الحياة، و هذا أفضل أسلوب عند هبوب الأعاصير ولا تطلب المرأة الطلاق.

- **جزاء من تطلب الطلاق:**

قد تفعل المرأة ذلك غير ملتفتة إلى عاقبة أمرها و إلى جزائها فى الآخرة فلقد ورد عن ثوبان قال «أَيّمَا امْرَأَةٍ سأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقاً في غَيْر مَا بَأْسٍ فَحَرَام عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنّةِ»[1].

---

(١) أخرجه أحمد و الترمذى و أبو داود و ابن ماجه.

فإذا استحالت العشرة و مات الحب و فقد الاثنان الاحترام و صار الحب عداوة أبيح لهما عملية البتر لأن العلاج لا يُجدى و تخيب مساعى الإصلاح . و فى شأن ذلك يقول رسول الله ﷺ «ما أحَلّ الله شَيْئاً أبْغَضَ إلَيْهِ مِنَ الطّلاَق»[1]. و يقول رسول الله ﷺ «أبْغَضُ الْحَلاَلِ إلى الله عَزّ وَجَلّ الطّلاَقُ»[2].

(1) رواه أبو داود.
(2) رواه أبو داود و ابن ماجه و الحاكم.

بيت رسول الله ﷺ يتميز عن سائر بيوت الأرض بأنه القدوة لبيوت البشر. و رسول الله ﷺ بشر و أزواجه نساء من البشر يظلِّل البيتَ النبوى الحبُّ بأغصانه الوارفة فهناك ميل قلبى من رسول الله ﷺ إلى نسائه بيد أن هناك ميلاً أكثر و أشد إلى إحداهنَّ.

و مع أنه يعطى كل واحدة حقها إلاَّ أنه يطلب من الله أن لا يؤاخذه فى الميل الزائد إلى إحداهن فعن عائشة رضى الله عنها «أنّ النبيّ ﷺ كانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ ويَقُولُ: اللّهُمّ هذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيما تَمْلِكُ ولاَ أَمْلِكُ»[1].

و معنى قوله (لا تلمنى فيما تملك ولا أملك: إنما يعنى به الحُبَّ والمودةَ كذا فسَّر بعض أهل العلم)[2].

- حبٌ متبادل:

تمر على الزوجين ساعات يتجاذبان فيها أطراف الحديث يتوق كل واحد منهما إلى اجترار ذكريات الماضى و مواقف الحاضر و رؤية المستقبل فأحلام الحياة تغدو و تروح فى خواطر البشر، ففى بعضها متعة، و فى البعض الآخر عِبرة و فى بعضها تُسكب العَبرة.

---

(١) رواه الترمذى.
(٢) تحفة الأحوذى جـ٤ ص٢٤٧.

و فى ساعة من هذه الساعات التى تَـرِد فيهـا الخـواطر و يناقشـها الزوجان. ناوش الرسول السيدة عائشة لتفضى له بما فى قلبها، فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ : إنِّي لأَعْلَمُ إذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإذَا كُنْتِ عَلَيّ غَضْبَىَ" قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ "أَمّا إذَا كُنْتِ عَنّي رَاضِيَةً، فَإنّكِ تَقُولِينَ: لاَ. وَرَبّ مُحَمّدٍ وَإذَا كُنْتِ غَضْبَىَ، قُلْتِ: لاَ. وَرَبّ إبْرَاهِيمَ" قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا أَهْجُرُ إلاّ اسْمَكَ»[1].

الغضب على النبى ﷺ كبيرة عظيمة، و غضب السيدة عائشة (هو من الغيرة التى عُفى عنها للنساء فى كثير من الأحكام لعدم انفكاكهن منها)[2].

ومع هذا فإن السيدة عائشة رضى الله عنها و عن أبيها اعترفت أنها إن هجرت اسم رسول الله ﷺ بلسانها فجنانها مفعم بالحب، و نجد أثر ذلك فى حديث يقع فى كل الأسر، وفى كل العصور.

- **خلاف وخصام فى بيت النبوة فى إطار الحب:-**

كان بين السيدة عائشة والنبى كلام فسألها النبى ﷺ : مَن ترضَيْن أن يكون بينى و بينك ؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح؟ قالت: لا. ذلك

---

(١) رواه الإمام مسلم.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٥ ص٢٠٣.

رجل هيِّن ليِّن يقضي لك. قال: أترضين بأبيك؟ قالت: نعم. فلما جاء أبو بكر، قال رسول الله ﷺ : اقصصى.

فقالت: بل اقصص أنت.

فأخذ رسول الله ﷺ في إعادة ما جرى بينهما من كلام.

و بدرت من عائشة كلمة لا تعنيها، فقالت: اقصد — أى التزم القصد ولا تزد فى الرواية — فرفع أبو بكر يده فلطمها و انتهرها مغضباً: تقولين يا بنتَ أم رومان: اقصد. من يقصد إذا لم يقصد رسول الله.

و جعل الدم يسيل من أنفها ورسول الله يحجز بينهما ويقول لصديقه: إنا لم نُرد هذا. حتى انصرف برضى رسول الله.

فقال لها: ما معناه: رأيتِ كيف أبعدك الله منه أو قال: لمثل هذه المناسبة: رأيت كيف أنقذتُك من الرجل)[1].

والسيدة عائشة أرادت باختيارها أبا بكر أن لا تخرج المشكلة خارج الأسرة و لم ترضَ بأبى عبيدة و قولها فيه ليس قدْحاً.

- **حُبٌ فى بيت النبوة تهب عليه العواصف و يهزأ بها:**

هذا الحب سَرَى كالرحيق فى عروق السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وزوجها العاص بن الربيع وقلبيهما. ارتبط الزوجان برباط

---

(١) عبقرية الصديق ص٣٦١.

الحُب الذى قويت آصرته فلا تُقطع أبداً ، أحب العاص بن الربيع زوجته السيدة زينب حباً شديداً و بادلته نفس الشعور إلى أن تعرَّض هذا الحبُّ لهزَّة عنيفة.

● بلاء في الحب و ثبات:-

لقد زوَّج رسول الله ﷺ عتبة بن أبى لهب ابنته رُقَيَّة و زوَّج زينب ابا العاص بن الربيع، فلما أتى بالرسالة، و بادى قريشاً بأمر الله تعالى قالت قريش: إنكم قد فرَّغتم محمداً من همِّه فَرُدُّوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص فقالوا له: فارق صاحبتك و نحن نزوِّجُك أىَّ امرأةٍ من قريش شئتَ. قال: لا والله إنى لا أفارق صاحبتى و ما أحِبُّ أن لى بامرأتى امرأة من قريش. و كان رسول الله ﷺ يثنى عليه فى صهره خيراً [1]. هذا هو الحب الحقيقى. أما ابن أبى لهب وهو عتبة فمشوا إليه فقالوا: طلِّق بنت محمد و نحن نُنْكِحُك أية امرأة من قريش شئت. فقال: إن زوَّجتمونى بنت أبَّان بن سعيد بن العاص أو بنتَ سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه و فارقها فأخرجها الله من يده كرامة لها وهواناً له. و خلف عليها عثمان بن عفان بعده[2].

أما أبو العاص بن الربيع فلم يرض عن زينب بديلاً (وكان رسول الله ﷺ لا يُحلُّ بمكة ولا يُحرِّم، كان مغلوباً على أمره و كان الإسلام قد

---

(١) انظر الروض الأنف جـ٣ ص٥٧.

(٢) المرجع السابق.

فرَّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت و بين أبـي العـاص بـن الربيع. إلاَّ أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرِّق بينهما فأقامت معـه على إسلامها وهو على شركه)[1].

- **دليل على حب زينب لزوجها:-**

وقعـت غـزوة بـدر الكـبرى و انتصـر المسـلمون و أُسِـرَ كـثيرُ مـن المشركين وكان من بين الأسرى أبو العاص بن الربيع، و علمت زينب بأن حبيبها وقع فى الأسر فـى يـد جنـود أبيهـا و بعثـتْ قـريش فـى فـداء أسراها (عن عَائِشَةَ قالَتْ: لَمَّا بَعَـثَ أَهْـلُ مَكَّـةَ فِي فِـدَاءِ أُسَـرَائِهِمْ بَعَثَـتْ زَيْنَبُ بنتُ رسول الله ﷺ في فِدَاءِ أبي الْعَاص بِمَالٍ وَبَعَثَـتْ فِيـهِ بِقِـلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أبي الْعَاصِ. قالَـتْ: فَلَمَّـا رَآهَـا رَسُولُ الله ﷺ رَقَّ لَهَـا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقال: إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَـهَا أسِيرَهَا وَتَرُدّوا عَلَيْهَا الّذِي لَهَا. قالُوا: نَعَمْ، فأطلقوه، وردُّوا عليها الذى لها[2].

وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قد أخَذَ عَلَيْهِ، أوْ وَعَدَهُ أنْ يخَلِّيَ سَبيلَ زَيْنَبَ إلَيْهِ، أو كان فيما شرط عليـه فـى إطلاقـه و لم يظهـر ذلـك منـه ولا مـن رسول الله ﷺ فيُعلم ما هو إلاَّ أنه لما خرج أبـو العـاص إلى مكـة وخلَّـى سبيله، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ زَيْدَ بنَ حَارِثَـةَ وَرَجُـلاً مِـنَ الأنْصَـارِ معـه فقال: كُونَا بِبَطْنِ يَأْجُج حَتَى تَمُرّ بكُمَا زَيْنَـبُ فَتَصْحَبَاهَا حَتَـى تَأْتِيَـانى

(١) المرجع السابق.
(٢) أنظرالمرجع السابق ص٥٨.

بهَا فخرجا مكانهما وذلك بعد بدر بشهر)[1]. و خرجت السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ (بعد أن جهزها كنانة بن الربيع أخو زوجها وكان يسوق راحلتها ووقعت أحداث لها عند الخروج و هَمَّ كنانةُ بن الربيع بقتل أى أحد يقترب من بنت رسول الله ﷺ و قال «والله لا يدنو منى رجل إلاَّ وضعت فيه سهماً فتكركر — أى تأخر — النَّاس عنه»)[2].

ووصلت المدينة المنورة و أقامت بها بجانب أبيها و أقام أبو العاص بمكة وفرَّق بينهما الإسلام.

- **لقاء بعد فِراقٍ طال:-**

عاش أبو العاص بن الربيع ملتزماً بعهد الحب و عاش وحيداً على أمل اللقاء و عاشت السيدة زينب بولديها منه على أمل اللقاء وحُكْمِ الله فيها واستمر هذا الحال من السنة الثانية من الهجرة إلى الثامنة من الهجرة و قبل فتح مكة خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام و كان رجلاً مأموناً بمال له و أموال لرجال من قريش أبضعوها معه. فلما فرغ من تجارته و أقبل قافلاً لقيته سريَّة لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه و اختفى هارباً حتى لا يُقتل و أعجزهم فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص فى جُنح الليل و تسلَّل حتى دخل على زينب بنتِ رسول الله ﷺ فاستجار بها فلم تترك لنفسها مجالاً للتفكير

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

و لا غرو فهو زوجها وحبيبها ووالد أولادها، وهو الذى رفض عروض قريش ليطلِّقها فأقسم بأنه لا يرضى بها بديلاً فلم تتردد فإنها سَتُقْدِمُ على أمر سَيهزُّ عقول النَّاس، فلم تقرأ العواقب فهو بعيد عنها بشرع الإسلام مدة تزيد على ست سنوات. فأجارته رغم الموقف الشائك.

وفى تلك الليلة خرج الرسول ﷺ ليصلِّى الفجرَ فلما كبَّرَ و دخل فى الصلاة و كبَّر النَّاس خلفه صرخت زينبُ من صُفَّة النساء (أيُّها النَّاس إنِّى قد أجَرْتُ أبا العاص بن الربيع: فلما سلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على النَّاس فقال:

«أيها النَّاس: هل سمعتُم ما سمعتُ ؟ قالوا: نعم.

قال: أمَا و الذى نفس محمد بيده ما علمتُ بشىء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم.

إنه يجير على المسلمين أدناهم. ثم انصرف رسول الله ﷺ)[1].

- **الرسول الكريم يعالج الموقف:-**

انصرف رسول الله ﷺ فدخل على ابنته السيدة زينب فقال:
«أى بنية: أكرمى مثواه و لا يَخْلُصنَّ إليك فإنك لا تحلِّين له»[2].
و بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاص فقال لهم إنَّ هذا

---

(١) المرجع السابق ص٦٠.
(٢) المرجع السابق.

الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً فإن تُحسنوا و تَـرُدوا عليـه الذى له فإنا نحب ذلك. و إن أبيتم فهو فَيْءُ الله الذى أفاء عليكم: فـأنتم أحق بـه. فقالوا: يا رسول الله: بل نرده عليه فردوه عليه و لم يغـب مـن المال شيء ولم يُفقد منه شيءُ، ثم احتمل الأمـوال إلى مكـة فـأدَّى إلى كـل ذى مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه ثم نادى بأعلى صوته:

يا معشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا: لا. فجزاك الله خيراً فقد وجدنا وفيّاً كريماً.

قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله و أن محمد عبده و رسوله.

والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوُّفُ أن تظنُّـوا أنـى أردتُ أن آكلَ أموالكم. فلما أداها الله إليكم و فرغتُ منها أسلمتُ. ثـم خـرج حتـى قدم على رسول الله ﷺ [1].

- **نزاهة و عفة عن أموال النّاس:-**

هذا الرجل وهو العاص بـن الربيـع خليـق و حـرىُّ بـه أن يحظـى ببنت رسول الله ﷺ :

(قال ابن هشام: و حدثنى أبو عبيدة: أن أبا العاص بن الربيـع لما قدم من الشام و معه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموال فإنها أمـوال المشـركين. فقـال: أبـو العـاص: بـئس مـا أبـدأ بـه إسلامى أن أخون أمانتى.

(١) أنظر المرجع السابق.

وورد عن ابن عباس أنه قال: رد رسول الله ﷺ على العاص بن الربيع زينب على النكاح الأول لم يُحدث شيئاً)[1].

و عاد الحبيبان بعد فصول حملت أعاصير و ظلماتٍ و أمطاراً غزيرة و لم يَضِعْ الحب بل بقاؤه فى القلبين هو الذى صنع اللقاء.

(١) المرجع السابق.

إنتصار زواج الحب
على زواج القهر و السلطان و المال

ما أجمل أن تقوم الأسرة على زوجين يربط الحب بينهما، فإن تعرضا لهبوب إعصار تعانقا ووقفا سوياً فى خندق واحد يَردَّان كيد الحاسدين الحاقدين، و لقد اشتهرت قبيلة من القبائل العربية بالحب، وهى قبيلة «عذْرة» و كان الحب فيها عفيفاً، و لقد هبت نسمة من اسم هذا الحب على البلاد العربية فتردد على الألسنة هذا الاسم «الحُبُّ العَذْرى» نسبة إلى هذه القبيلة وهذه واحدة من قصصهم أوردها الحافظ ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية:

يقول الحافظ ابن كثير:

هذه القصة (ذكرها ابن الجوزىّ فى كتابه المنتظم بسنده، وهو أن شابا من بنى عذرة جرت له قصة مع ابن أُمِّ الحكم وملخَّصُها أن معاوية بينما هو يوما على السماط [1] إذا شاب من بنى عذرة قد مَثُلَ بين يديه فأنشده شعرا مضمونه التشوق إلى زوجته سعاد فاستدناه معاوية واستحكاه عن أمره فقال يا أمير المؤمنين: إنى كنت مزوَّجا بابنة عم لى، وكان لى إبل وغنم وأنفقت ذلك عليها فلما قلَّ ما بيدى، رغب عنى أبوها وشكانى إلى عاملك بالكوفة ابن أم الحكم، وبلغه جمالها، فحبسنى فى الحديد، وحملنى على أن أطلقها، فلما انقضت عدتها، أعطاه عاملك

---

(١) مكان الحُكم.

عشرة آلاف درهم فزوجه إياها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحزون الملهوف المكروب، وسند المسلوب، فهل من فرج، ثم بكى وأنشأ يقول:

فى القلبِ منى نارُ ∴ والنارُ فيها شرارُ
والجسمُ منى نحيل ∴ واللون فيه اصفرارُ
والعينُ تبكى بشَجْوٍ ∴ فدمعُها مِدرارُ
والحبُّ ذو عِبرٍ ∴ فيه الطبيبُ يحارُ
حَمَلْتُ فيه عظيماً ∴ فما عليه اصطبارُ
فليس ليلى بليل ∴ ولا نهارى نهارُ

قال فرقَّ له معاوية وكتب إلى ابن أم الحكم يؤنِّبه على ذلك ويعيبه عليه ويأمره بطلاقها قولاً واحداً، فلما جاءه كتاب معاوية تنفَّس الصعداء وقال:

وددت أن أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنةً ثم عرضني على السيف وجعل يؤامر نفسه على طلاقها فلا يقدر على ذلك ولا تجيبه نفسه وجعل البريد الذى ورد عليه بالكتاب يستحثه فطلَّقها وأخرجها عنه وسيَّرها مع الوفد إلى معاوية.

فلما وقفتْ بين يديه، رأى منظرا جميلا، فلما استنطقها، فإذا هى أفصح الناس وأحلاهم كلاما وأكملهم جمالا ودلالا.

فقال لابن عمها: يا أعرابى هل من سلُوٍّ عنها بأفضل الرغبة؟

قال: نعم إذا فرَّقْتَ بين رأسى وجسدى، ثم أنشأ يقول:

لا تجعلنِّى والامثالَ تُضْرَبُ بى ∴ كالمستغيثِ من الرَّمْضاءِ بالنارِ
ارْدُدْ سعادَ على حيرانَ مكتئبٍ ∴ يُمسى ويُصبح فى همٍّ وتذكارِ
قد شفَّه قلقٌ ما مثله قلقٌ ∴ وأسعرَ القلبَ منه أى إسعارِ
والله والله لا أنسى محبَّتَها ∴ حتى أغيبَ فى رَمْسِى وأحجارى
كيف السُّلُوّ وقد هام الفؤادُ بها ∴ وأصبح القلبُ عنها غيرَ صبَّارِ

فقال معاوية:

فإنا نخيِّرها بينى و بينك و بين ابن أم الحَكَم. فأنشأ يقول:

هذا و إنْ أصبح فى إطارِ ∴ وكان فى نقصٍ من اليسارِ
أحبُّ عندى من أبى وجارى ∴ وصاحبُ الدرهمِ و الدينار
أخشى إذا غدرتُ حرَّ النار

فضحك معاوية و أمر له بعشرة آلاف درهم و مَركَبٍ ووطاء ولما انقضت عدتها زوَّجه بها وسلَّمها إليه)[1].

وانتصر الزواج المبنى على الحب، على زواج القهر و المال و السلطان.

---

(١) البداية والنهاية جـ٨ ص٨٢، ٨٣.

حبٌ هزّه الزلزال و لم يسقط !!

حينما يتمكن الحب من قلبين فإنَّه يحيلهما إلى ذات واحدة لا يستغنى أحدهما عن الآخر يشعر كلاهما أنه لو غاب عن حبِّه غرق ومات و انتهى. و يكرهان الفِراق. لا يستطيع أحدهما النوم بعيداً عن مضجع الآخر. أنفاسهما عند اختلاطهما تغذيان مشاعرهما و يتلذّذان باختلاطها، إذا غاب أحدهما عن الآخر تضيق الدنيا و لا يتحمل الصبر على الغياب. المرض ليس لأحدهما بل لهما معاً، كلاهما يعمل على إسعاد الآخر.

هذه المعانى كلها سُكبت فى قلب عبد الله بن أبى بكر و زوجته «عاتكة بنت زيد» و عبد الله بن أبى بكر له تاريخ فى أحداث الهجرة، فلقد كان يذهب سراً إلى رسول الله ﷺ ووالده فى غار ثوْر فيقضى حاجتهما كلَّ ليلة و يأتى بعده «عامرُ بن فهيرة» بالغنم فيمحو آثار أقدامه حتى لا تَدُلَّ قريشاً على الرسول ﷺ وصحبه.

- حبٌ متبادل بين عبد الله وزوجته عاتكة :-

تزوَّج عبد الله عاتكة وأحبَّها حباً شديداً و أحبَّتْه فقد (كانت عاتكة من أشهر نساء عصرها بالجمال و العقل و الفطنة. ففتن بها عبد الله و شغل بها عن مصالحه و شئونه فنصح له أبوه بطلاقها فطلَّقها فما زال حتى ندم و ألحَّ به الندم على فِراقها و قال: من شعره:

أعاتكُ لا أنســاكِ ما ذرَّ شارقٌ ∴ وما لاحَ نجمٌ في السـماء محلَّقُ
أعاتكُ قلــبى كلَّ يــومٍ وليلةٍ ∴ لديكِ بما تُخفى النفوسُ مُعلَّقُ
لها خُلُقٌ جزلٌ ورأىٌ ومنصبٌ ∴ وخُلُقٌ سوىٌّ في الحيــاة مصدَّقُ
ولم أرَ مثلي طـلَّق اليوم مثلَها ∴ ولا مِثلَها في غيــرِ شيء تُطلَّقُ

فرحمه أبوه وأمره بمراجعتها، فراجعها)[1].

و عاد الزوجان بحبٍّ زائـد: عبـد الله مجـروح الفـؤاد علـى طلاقـه لحِبِّه، و احترام من زوجته له لأنه نفَّذ أمـر والـده. و لم يسـقط الحـبُّ أمام هذا الزلزال. بل ظل شامخاً حيّاً.

---

(١) عبقرية الصديق ص٣٦٣.

اعترافات زوجية

تعيش النساء فى ظلال المجتمعات البشرية لها عقولها التى لا تقل عن الرجال ولها مشاعرها وأحساسيسها وانفعالاتها، و للنساء وقفات مع أنفسهن و يجدن الحديث مع أنفسهن و كثير منهن يواجهن الرجال فى عنف. و إذا انسحبت المرأة من موقف فإنها لا تعلن الهزيمة؛ بل تكثر من البكاء و لا يخرج الموقف من ذاكرتها حتى تسنح الفرصة للانتقام، و ذاكرتُها لا تترك شاردةً ولا واردةً، و إذا سئلت عن موقف تروى كل جوانبه و تبرز شروره، فنسيانها يكون لمرض ألمَّ بها و إذا قدرت فمن الصعب أن يُنتَزَعُ منها العفو. إذا جلست مع زميلاتها و طفقت تجتر ذكرياتِ معالمِ حياتها الزوجية و تقص و تصف، فإنها تجيد الرواية و ما أجمل ما روى فى حديث أم زرع حين اجتمعت طائفة من النسوة فى بيت السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ فتعاهدت الزوجات أن لا يكتمن شيئاً من أسرار أزواجهن.

فعن عروة عن عائشة أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا:

قالت الأولى: «زوجي لحمُ جمل غَثٌّ[1]، على رأس جبل: لا سهلٌ فَيُرْتَقَى ولا سمين فينتقل»

(١) غث: مهزول.

ومعنى كلامها: هو ذمٌّ في زوجها حيث جَعَلَتْه كلحم الجمل المهزول فهو ليس كالضأن فهو قليل الخير ومع ذلك يتكبَّر و يسمو بنفسه فوق ما تستحق.

قالت الثانية: «زوجي لا أبُثُّ خبرَه، إني أخاف أن لا أذَرَه، إن أذكُرْهُ أذكرْ عُجَرَه وبُجَرَه»[1]

معنى كلامها: أنها لا تريد نشر خبره لأنها إن تكلمت تخاف أن لا تُكْمِلَه لكثرة الحديث عنه وهو ذمٌّ لزوجها تقول إنْ أذكرْهُ أذكُرُ قبحَ جسده و بطنه من العروق التى انتفخت فيهما.

قالت الثالثة: «زوجي العَشَنَّق، إنْ أنطق أُطَلَّق وإن أسكُتْ أُعَلَّق»

قولها هذا ذمٌّ لزوجها: فهو ليس فيه أكثر من الطول بلا نفع فإن ذكرتْ عيوبه طلَّقها و إن سكتتْ عنها بعد أن ذكرتْ عيوبه تركها لا عزباء ولا مزوَّجة فهو يهملها كشيء فى البيت مهمل.

قالت الرابعة: زوجي كلَيْلِ تُهامة لا حَرَّ ولا قُرَّ، ولا مخافة ولا سآمة»

هذا مدح بليغ لزوجها: فحياتها راحة و لذاذة عيش كليل تهامة لذيذ معتدل ليس فيه حرٌّ ولا برد مفرط ولا أخاف له غائلةً لكرم أخلاقه ولا يسأمني ولا يمل صحبتي.

---

(١) العُجَر و البُجَر: هى عروق الجسم تكون ناتئة وهى الدوالى و البُجر هى فى البطن خاصة.

قالت الخامسة: «زوجي إن دخل فَهِدَ[1]، وإن خرج أسِدَ، ولا يسأل عما عَهِدَ »

هذا مدح بليغ أيضاً لزوجها، فإذا دخل البيت نام كالفهد ولا يسأل عما كان عَهِدَه فى البيت من طعام و متاع فالكل لأولاده وزوجته، و إن خرج و خالط النَّاس أو دخل الحرب فهو شجاع كالأسد.

قالت السادسة: «زوجي إن أكَلَ لَفَّ، وإن شَرِبَ اشتفَّ، وإن اضطجع التفَّ، ولا يُولج الكفَّ ليعلم البثَّ».

هذا ذم لزوجها: لا تراه زوجته إلاَّ أنه يعيش لنفسه و مزاجه، فإن أكل أتى على كل صنوف الطعام، فلم يُبق على المائدة شيئاً، وإن شرب استوعب كلَّ ماء الإناء، و إن اضطجع ورقد التفَّ فى ثيابه فى ناحية و لم يضاجعها ليعلم ما عندها من محبة.

قالت السابعة: «زوجي غَيَاياءُ، أو عَيَايَاءُ، طَبَاقَاءُ، كل داءٍ له داءٌ، شَجَّكِ أو فَلَّكِ أو جمع كُلاًّ لَكِ»

هذا ذم قادح فى زوجها، كلُّ الروايات بالعين «عياياء» أى هو عنِّين يعجز عن مباضعة النساء. «طباقاء» مطبقةٌ عليه أموره لأنه أحمق، «كل داء له داء» أى جمع أمراض النَّاس فيه. «شَجَّكِ أو فَلَّكِ أو جمع كُلاًّ لَكِ» أى حياتى معه ما بين ضربٍ و شج رأسٍ و كسر عضوٍ. فحياتهما جحيم.

---

(١) فَهِد بفتح الفاء و كسر الهاء: نام كالفهد.

قالت الثامنة: «زوجي: الريحُ ريحُ زَرْنَب والمسُّ مسُّ أرنب».

هذا مدح لزوجها: فالزرنب نوع من الطِّيب: فأرادتْ أن ريح جسده طيِّبٌ و أنه ليِّن الجانب معها و رقيق في معاملتها فقولها و المس مس أرنب كناية عن لينه ورقَّته.

قالت التاسعة: «زوجي رفيع العماد، طويلُ النِّجاد، عظيمُ الرَّماد، قريبُ البيت من النَّاد».

هذا مدح لزوجها: فقولها: رفيع العماد، كناية عن شرفه و عُلُوِّ نسبه، و قولها: طويل النجاد: كناية عن طول قامته. و قولها: عظيم الرماد: كناية عن كرمه، فالرماد الكثير هو ما خلَّفتْه النار التى يطهون بها الطعام، وقولها: قريب البيت من الناد: أى بيته قريب من مجلس القوم فهم يأخذون رأيه فى كل شىء.

قالت العاشرة: «زوجي مالكٌ وما مالكٌ، مالكٌ خير من ذلك، له إبل كثيراتُ المَبَارك، قليلاتُ المسارح، وإذا سَمعنَ صوت المزهر، أيقنَّ أنَّهنَّ هوالك».

هذا مدح لزوجها: ومعنى كلامها: أن اسم زوجها مالك و ما أدراك ما مالك، مالك خير مما تتصوره أيها المخاطب له إبل بفناء بيته لا تسرح ولا تسوم لأنه أرصدها للضيفان فإذا كان هناك ضيف قادم دُقَّ المزهر فأدرك كل واحد من الإبل أنه مذبوح.

قالت الحادية عشرة: «زوجي أبو زرع، فما أبو زرع! -هذه الجملة لتعظيمه- أَنَاسَ [١] مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيّ، ومَلأ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيّ، وبَجَّحَنِي فَبَجَحَتْ[٢] إليّ نفسي؛ وجدني في أهل غُنَيمة[٣] بشِقٍّ، فجعلني في أهل صهيلٍ وأَطِيط ودائِس ومُنَقٍّ[٤]؛ فعنده أقولُ فلا أُقَبَّح -أقول رأيي فلا يُرَدُّ قولي-، وأرقد فأتَصَبَّح -أنام للضُّحى-، وأشرب فأتَقَنَّح — أي أرْوى حتى أدع الإناء- أُمُّ أبي زرع، فما أُمُّ أبي زرع، عُكُومُها رَدَاح[٥]، وبيتُها فَسَاح؛ ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع، مضجعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَة — مرادها أنه مهفهف-، ويُشْبِعُهُ ذِراعُ الجفْرَة — أي الشاة — بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع، طوع أبيها وطوع أمِّها، وملءُ كسائها وغَيْظ جارتها؛ جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع! لا تَبُثُّ حديثنا تبثيثا — أي لا تُخرج سرَّ البيت- ولا تُنَقِّث ميرتنا تنقيثا[٦].

خرج أبو زرع والأوطاب تمخَّض- سُقْية الألبان- فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها؛ فنكحت بعدَهُ رجلا سريا، ركِبَ شريا — سريًّا شريفا يركب

---

(١) حَلَّى أذني بالقُرْط فالحلق يتحرك.

(٢) بَجَّحني: أي فرَّحني.

(٣) أي رعاة غنم بمكان يسمى شق.

(٤) صهيل: أهل خيل. و أطيط: أهل إبل. و دائس: أهل حبوب كثيرة يُداس عليها. و مُنَقٍّ: ومواشي كثيرة.

(٥) أواني بيتها عظيمة.

(٦) لا تفسد الطعام.

الخيل-، وأخذ خطيا — سهماً -، وأراحَ عَلَيّ نِعَماً ثَرِيّا، وأعطاني من كل رائحة زوجا، وقال: كُلِي أم زرع وميري أهلك؛ فلو جمَعْتُ كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر إناء من آنية أبي زرع.

قالت عائشة: فقال رسول الله ﷺ : كنتُ لك كأبي زرع لأمِّ زرع»[1].

هذه اعترافات زوجية وهي تعطي للرجال أسرارَ أنفس النساء فهذه الاعترافات أخرجت ما في قلوبهن فهل يستفيد الرجال من هذه الأسرار حتى يحسنوا المعاملة فيأسرون قلوب أزواجهن؟

نتمنى لهم ذلك.

---

(١) رواه مسلم.

الإثارة و الإغراء يدمران أعصاب الشباب

سما الإسلام بآدابه و أراد للبشر الطهر و العفاف فحرَّم الإثارة و الإغراء لأنهما يحركان الساكن و يشعلان نيران الغرائز فتنطلق دوافعها و كثيراً ما يفقد الشباب السيطرة على الغريزة فإذا تكررت هذه الإثارات والإغراءات أصيب الشباب باضطراب نفسي وإذا نظرنا حولنا الآن نجد وسائل الإعلام تتسابق في كشف أجساد النساء فالتليفزيون المصرى بجميع قنواته لم يقصِّر في عرض الأجساد الرخيصة و تليفزيونات العالم مراكز أعاصير على العالم كله و الإنترزفت — الإنترنت— أتى بكل الرذائل و بعض مواقعه صارت ميداناً للرذيلة و الصحف اليومية بعد أن كانت مصادر ثقافة و كنا نحرص على قراءة كثير من الأعمدة فيها و كثير من الصفحات صارت تبالغ في الإعلانات الرخيصة و عرض الأجساد تحت مسمى عرض «الموضة».

يا قـــــوم:

أنحن في ثورة للإثارة و الإغراء أُمِرنا بها من قِبَل الشيطانة أمريكا ، وهذه أساليب إبعاد المسلمين عن دينهم خوفاً من الإرهاب ؟ إنهم تفرَّغوا للمسلمين بعد انهيار الاتحاد السوفيتي و أصوات خرجت من ديارهم بطفح يشير إلى هذا. و المسلمون القائمون على أمر المسلمين هم الذين يطبِّقون ما يريده أعداء الله، يا معشر الشباب: «رجالاً ونساءً»:—

لقد رفع الإسلام المسلمين و طهّر أحاسيسهم بالجمال. فلم يجعل للجمال الحيوانى ميزاناً؛ بل جعل الطابع الإنسانى المهذَّب هو الجمال. وجعل الجمال الجسدىَّ المكشوف حيوانياً يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان مهما كان متناسقاً متكاملاً صارخاً، أما جمال الحشمة فقد جعل له قيمة لأنه نظيف يرفع الإنسان ويحيطه بالنظافة و الطهارة فى الحس و الخيال.

و لقد هبط الآن الذوق البشرى للمسلمين ووصل إلى الغاية فى الدنو، فجنوح النساء إلى التكشُّف و التعرِّى و التنزى كما تتنزى البهيمة فإذا هن يكشفن مفاتن أجسادهن طائعاتٍ مسروراتٍ بهذا و يهتفن فيه للذكور هتاف الحيوان للحيوان و على جميع وسائل الإعلام تُنقل هذه الصورة التى يستنكفها كلّ من رضى بالله تعالى رباً و بالإسلام دينا و بسيدنا محمد ﷺ نبياً و رسولاً.

- **إثارةٌ وَأدَها عمرُ بن الخطاب:**

وقع أمر فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان من عادته تَفَقُّد أحوال الرعية ليلاً فالناس ينامون و يستريحون والراعى يروح و يجيء ساهراً على شئون الرعيَّة و ذات ليلة سمع شيئاً يكرهه و يثير غضبته: سمع امرأة تتحدث بصوت عن خواطرها و عن تمنياتها الفطرية تقول تهتف:

هَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى خَمْرٍ فأَشْرَبُهَا ∴ أَمْ هَلْ سَبيلٍ إلى نَصْرِ بن حَجَّاجِ[1]

(١) نصر بن حجاج: كان شاباً وسيماً جميلاً. مقتبل: أى شاب ليس فيه أثر الشيب. سهل المحيا: طليق الوجه رقيق.

إلى فَتَىً ماجـدِ الأعـراقِ مقتبلٍ ∴ سَهْلِ المُحَيَّا كريمٍ غـير ملجاج[1]
تُنَمِّيه آباءُ صـدقٍ حـين تَنْسِبُه ∴ أخو قداحٍ عـن المعـروف فرَّاجِ[2]

فقال عمر:

– لا أرى معى بالمدينة رجلاً تهتف به العواتقُ[3] فى خدورهن. علىَّ بنصر بن حجاج فلما أصبح أُتِى بنصر بن حجاج فإذا هو أحسنُ النَّاس وجهاً و أحسنُهم شعراً.

فقال عمر:

– عزيمة من أمير المؤمنين. لتأخذَنَّ من شَعْرك.

فأخَذَ من شَعْرِه فخرجت له وجنتان كأنهما شَقَّتَا قمر.

قال عمر:

– اعتمّ. فاعتمّ فافتتن النَّاس بعينيه.

فقال له عمر:

– لا تساكنِّى ببلدة أنا بها.

قال نصر:

– يا أمير المؤمنين: وما ذنبى؟

قال عمر:

– هو ما أقول لك. فسيَّره إلى البصرة.

---

(١) غير ملجاج: لا يخاصمنى ولا يبعد عنى.
(٢) تنميه: أى تنسبه: أخو قداح: ملازم لشرب الخمر.
(٣) العواتق: النساء التى عُتقت من الصِّبَا.

وخَشيتْ المرأة التى تمنت نصر بن حجاج و رددت الشعر و سمعه عمر و عرفت ما فعله عمر مع نصر بن حجاج خشيت أن يبدر من عمر إليها شيء فدَسَّت إليه أبياتاً تذكر فيها:

قل للإمام الذى تُخشى بوادِرُه ∴ مالى و للخمر أو نصرِ بن حجَّاجِ
إنى مُنيتُ أبا حفص بغيرهما ∴ شربِ الحليبِ و طَرْفٍ فاترٍ ساج
أُمنيَّةٌ لم أُصبْ منها بضائرةٍ ∴ و الناسُ مِنْ هالك فيها و مِنْ ناجِ
لا تجعلْ الظنَّ حقّاً أو تبيِّنَه ∴ إن السبيل سبيلُ الخائف الراجى
إن الهوى ذِمَّةُ التَّقْوَى تُقَيِّده ∴ حتى أقرَّ بإلجام و إسراج

فلما قرأها: بعث عمر إليها: فقال لها:

- قد بلغنى عنك خير و إنى لم أخْرجه من أجلك و لكن بلغنى أنه يدخل على النساء فلستُ آمنهن.

و بكى عمر، و قال:

- الحمد لله الذى قيَّد الهوى حتى أقرَّ بإلجام و إسراج.

عمر سدَّ باب الفتن و لم يظلم نصر بن حجاج

لم ينفِ أميرُ المؤمنين نصراً لحادثة المرأة فقط؛ بل لما علم أنه يدخل على النساء، و قول عمر يشير إلى أن فتنة قد انتشرت «لا أرى معى بالمدينة رجلاً تهتف به العواتق فى خدورهن».

أمُ نصر بن حجاج تعترض عمر:-

نفى عمر بن الخطاب نصراً إلى البصرة فخرجتْ أمُّه يوماً بين الأذان و الإقامة معترضةً لعمر فإذا عمر قد خرج فى إزار و رداء بيده الدِّرَّةُ

فقالت:

- يا أمير المؤمنين: و الله لأقفن أنا و أنت بين يدى الله ﷻ و ليحاسبنك الله ﷻ، يبيت عبد الله بن عمر إلى جنبك و عاصم، وبينى و بين ابنى الجبال و الفيافى و الأودية.

فقال عمر:

- إن ابنىَّ لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن.

نصر بن حجاج يكتب إلي عمر:-

نادى منادى عتبة بن فرقد فى البصرة من أراد أن يكتُب إلى أمير المؤمنين أو إلى أهله فليكتب فإن البريد خارجٌ فكتب إلى أمير المؤمنين نصرُ بن حجاج:

«بسم الله الرحمن الرحيم» لعبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من نصر بن حجاج سلام الله عليك:

أما بعد: يا أمير المؤمنين.

لعمرى لقد سيَّرْتَنى و حَرَمْتَنى ∴ وما نِلْتَ من عرضى عليك حرامُ
فأصبحتُ منفيّاً على غير ريبةٍ ∴ و قد كان لى بالمكّتين مقام[1]
أإنْ غنَّت الذَّلْفَاء يوماً بمُنْيَةٍ ∴ و بعض أمانىِّ النِّساء غرام
ظننْتَ بى الظنَّ الذى ليس بعده ∴ بقاءٌ فما لى فى البذىء كلام
و يمنعنى مما تظنُّ تَكَرُّمى ∴ و آباءُ صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تظن صلاتُها ∴ وحالٌ لها فى قومها وصيام
فهاتان حالان فهل أنت ∴ وقد جُبَّ منِّى كاهلٌ و سنام

فلما قرأ عمر الكتاب قال:

– و أما ولىَ سُلطان فلا. فأقْطَعَه مالاً بالبصرة و داراً فى سوقها.

فلما مات عمر ركب صدر راحلته و توجَّه إلى المدينة

و فى رواية عن الشعبى تثبت أن نصراً لم يكن بريئاً:

لَمَّا لحق نصرٌ بالبصرة نزل على مجاشع بن مسعود و كان خليفة أبى موسى و كان لمجاشعٍ امرأة جميلة شابَّة فبينما الشيخ جالس و عنده نصر بن حجاج إذ كتب نصر بن حجاج فى الأرض يوجِّه كتابته

(١) المكتان: مكة و المدينة.

إلى امرأة مجاشع الحسناء:

- «أنا والله أحبك»

فقالت: وهى فى ناحية البيت:

- وأنا والله

فقال: الشيخ لامرأته:

- ما قال لك.

فقالت:

- قال لى: ما أصفى لُقحتكم [1] هذه.

فقال الزوج الشيخ مجاشع:

- وأنا والله ما هذه لهذه.

- أعزِمُ عليك لما أخبرتنى — يقسم عليها أن تخبره بما كَتَبَ نصر بن حجاج على الأرض.

فقالت:

- أمَّا إذْ عزمتَ علىَّ فإنَّه قال: ما أحسن شُوارَ بيتكم — أى متاع بيتكم.

قال الشيخ رَدّاً على زوجته:

- وأنا و الله ما هذه لهذه.

ثم حانت منه التفاتةٌ فرأى الكتابة فقال علىَّ بغلام من المكتب فلما

(١) اللقحة: الناقة ذات اللبن.

حضر الغلام قال له مجاشع:

– اقرأ هذه الأحرف.

فقال:

– هذه الأحرف: هى: والله أحبُّكِ،

فقال الشيخ مجاشع:

– صَدَقْتَ.

فقال لها:

– كتب نصر بن حجاج على الأرض: أنا والله أحبك. فقلتِ أنتِ: و أنا والله. هذه لهذه.

فقال لها الزوج مجاشع:

– اعتدِّى و تَزَوجْها يا ابن أخى. قال لها و لنصر – و تزوَّجْها بحلٍ إن أردتَ. و كانوا لا يكتمون من أمرهم شيئاً.

فأتى مجاشعُ أبا موسى الأشعرى فأخبره.

فقال أبو موسى لنصر:

– أقسم بالله ما أخرجك أمير المؤمنين من خير أُخرج عنَّا.

فخرج نصر بن حجاج و أتى فارس و عليها عثمان بن أبى العاص الثقفى فنزل على دهقانية[1] فأعجبها فأرسلت إليه فبلغ ذلك عثمان بن أبى العاص فبعث إليه فقال:

---

(١) دهقانية: معرّب: و يطلق على بنت رئيس القرية و على التاجر و من له مال أو عقار.

– ما أخرجك أمير المؤمنين عمر و أبو موسى من خير أخرج عنا.

فقال له نصر بن حجاج:

– و الله لئن فعلتُم لألحقنَّ بالشرْك

فكتب عثمان إلى أبى موسى فكتب أبو موسى إلى عمر فكتب عمر أن جُزُّوا شَعْرَه و شَمِّروا قميصه و ألزموه المسجد[1].

لم يرض عمر بن الخطاب أن يبقى نصر بن حجاج و أن يكون مصدر فتنة للنساء فأخرجه بعد تيقُّنه بأنه لا علاج إلاَّ ذلك.

و لم يرض أبو موسى ولا مجاشع بن مسعود ولا عثمان بن أبى العاص بما يفعله نصر من فتن.

(١) تاريخ عمر بن الخطاب: للحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ص١٠٤ – ١٠٧.

- **موقف آخر لعمر بن الخطاب:**

لقد سمع عمر بن الخطاب عن أحد عماله يقول الشعر و يذكر فيه أن النساء تغنى له و أن هناك رقّاصة ترقص و تقعد على أطراف أصابعها و يطلب من النديم أن يسقيه الخمر فى الإناء الأكبر لا فى الأصغر و يقول لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمه فى القصر المتهدم الباقى من ملك الفرس. وهذا العامل هو النعمان بن عدى بن نضلة و كان عاملاً على «ميسان» بلدة بالعراق بين البصرة و واسط.

أما الأبيات فهى:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ∴ بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئتُ غنّتني دهاقين قرية ∴ ورقّاصةٌ تحثو على كل مَنْسَم
فإن كنتَ ندماني فبالأكبرِ اسقني ∴ ولا تَسْقِني بالأصغرِ المتثلمِ
لعلَّ أميرَ المؤمنين يسوؤه ∴ تنادمنا في الجوسق المتهدمِ

فلما بلغ عمر قوله، قال: نعم والله إنه ليسوؤني:

من لقيه فليخبره أني قد عزلته، فقدم على النعمان رجل من قومه، فأخبره بعزله، فقدم على عمر فقال: والله ما صنعت شيئا مما قُلْتُ، ولكن كنت شاعرا وجدت فضلا من قول فقلت الشعر. فقال عمر: والله لا تعمل لي على عمل ما بقيتُ وقد قلتَ ما قلتَ[1].

---

(١) المرجع السابق ص١٣٦.

فما بال وسائل الإعلام المرئية وهى تبث هذه الفضائح فى أمة حرَّم الله عليها هذه الإثارات. ومن بثها فعليه وزرها ووزر من فعلها إلى يوم القيامة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ «مَنْ سَنّ فِي الإِسْلاَمِ سُنّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنّ فِي الإِسْلاَمِ سُنّةً سَيّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بهَا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

فلا يغرنكم أيها القائمون على هذه الوسائل مناصبكم فإنها إلى زوال، فمجموعة من الأمراض تحبسكم فى بيوتكم و أنتم أحياء و بعدها الرحيل إلى باطن الأرض و الحساب يوم العرض.

صورة منفرة:

فى يوم السبت ٧ / ٨ / ٢٠٠٤ وفى الساعة الثامنة إلاَّ رُبعاً صباحاً كنت أستمع إلى الأخبار من إذاعة لندن و بعدها سمعت أخبار الاقتصاد و بعدها أخبار السينما و لنا وقفة: قالت مقدمة البرنامج: تقدم للسينما البريطانية فيلمان للمسابقة فى المهرجان أحدهما: لمخرج مصرى: «هانى خليفة» و الفيلم بعنوان «سهر الليالى» شرحت مقدمة البرنامج أن الفيلم يعالج القضايا الجنسية و آلامها و إن فيه ممارسات قهرية و ممارسات برغبة و قالت مقدمة البرنامج و أما الفيلم الثانى فهو لمخرج لبنانى اسمه «غسَّان سهلب» وهو فيلم للممارسات الجنسية تقول مقدمة

(١) رواه مسلم.

البرنامج إن البطلة تمارس الجنس مع كل من يروق لها» هذا كلام امرأة تقدِّم برنامجاً.

أيصل الأمر إلى هذا الكلام العارى؟!!، و هذه الأفلام التى تولد فى الأرض العربية الإسلامية، كل هذه المثيرات تتعلق بالرذيلة و بالفاحشة و إظهارها و إبرازها تحت مسميات ثقافية يساعد على انتشار الفواحش فى مجتمع الشباب العاطل الذى لا يجد عملاً و لا مالاً وفى جسده طاقة فطرية و تُعرض أمامه: فإما أن يصاب بالإحباط و إمَّا أن يوجِّه طاقته فى المعاصى. و يبقى ما قاله الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

و كَفَتْ هذه الآية فى الرد على كل من نحى هذا النحو. و يوم القيامة يكون الحساب بعد عذاب الدنيا من مرض و آفات و عدم راحة البال، وعدم البركة فى الزوجة و الولد و الأهل.

(١) سورة النور آية ١٩.

الحبُ الأسمى

تختلف مشارب النَّاس فى حبِّهم فمنهم من يُشغَفُ بامرأة و منهم من يعشق المال و منهم من يلتاع بالجاه، و منهم من يأسر قلبه حيوان. و منهم من يحب صديقه حبّاً جماً و منهم من يغوص فى بحار العلم حبّاً وشوقاً إلى غير ذلك من المشارب.

وهناك حبٌّ أسمى من كل حب فكل ما سواه إلى زوال، هذا الحب الأسمى هو لِوَاهب الحياة لكل مخلوق، هو الرزَّاق لكل دابَّة، هو الهادى لكل ضال، هو المجير لكل مستجير، هو المجيب لمن دعاه، هو الناصر لكل مظلوم، هو الأنيس لكل خائف، تقدستْ عن مشابهة الأمثال صفاته، واحد لا من قلة، وموجود لا من علَّة، بالبر معروف و بالإحسان موصوف معروف بلا غاية، وموصوف بلا نهاية، أوَّلٌ بلا ابتداء و آخر بلا انتهاء، لا ينسب إليه البنون، ولا يُفنيه تداولُ الأوقات ولا توهنه السِّنون، كل المخلوقات قهر عظمته، وأمره بالكاف و النون، بذكره أنس المخلصون، و برؤيته تقر العيون، و بتوحيده ابتهج الموحدون، هَدَى أهل طاعته إلى صراط مستقيم، و أباح أهل محبته جنَّات النعيم. وعلم عدد أنفاس مخلوقاته بعلمه القديم، و يرى حركات أرجل النمل فى جنح الليل البهيم، يسبِّحه الطائر فى وكره، و يمجده الوحش فى قفره، محيط بعمل العبد سرِّه وجهره، و كفيل للمؤمنين بتأييده و نصره، و تطمئن القلوب الوجلة بذكره و كشف ضره، ليس كمثله شيء.

و من كانت هذه صفاته فهـو الأجـدر بالحـب، فهـو يحـب عبـاده لأنهم مخلوقون بيده، وهناك أقوام أحبوه يقول الله تعالى ﴿ فَسَوْفَ يَـأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١) وقال تعـالى ﴿قُـلْ إِن كُنـتُمْ تُحِبُّـونَ اللّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

فحب الله هو الاشتغال بطاعته و المداومة على تسـبيحه و تحميـده و تكبيره و تهليله و التقرُّب إليه بكلامه و من أحب الله حرص علـى أن لا يغضبه بالمعاصى.

- **نموذج من الذين هاموا عشقاً فى حب الله:-**

هناك من البشر من تاهـت عقـولهم فـى حـب الله و ذابـت قلـوبهم شوقاً إليه و من الجنسين: الرجال و النساء.

فمن النساء السيدة **رابعة العدوية** .

و من الرجال **أبو حفص عمر بن الفارض** الشـهير بـابن الفـارض الذى أحـبَّ الله و أخلـص و صـدق فـى حُبِّـه و هـام شـوقاً و أبـاح بحبِّـه وجادت قريحته بشعر لم يسبقه أحد فى هذا الميدان و من قصائده:

---

(١) سورة المائدة آية ٥٤.
(٢) سورة آل عمران آية ٣١.

أولا: من قصائده رحمه الله ورضى عنه:

أنْتُم فُروضى و نَفْلى ∴ أنتُم حديثى و شُغْلى
يا قِبلَتى فى صلاتى ∴ إذا وقَفْتُ أُصَلِّى
جمالُكُم نُصْبَ عينى ∴ إليه وجَّهْتُ كُلِّى
وسرُّكم فى ضميرى ∴ و القلب طوْرُ التَّجَلِّى
آنَسْتُ فى الحىِّ ناراً ∴ ليلاً فبَشَّرْتُ أهلى
قُلتُ امكثوا فلَعَلِّى ∴ أجِدْ هُدَاىَ لَعَلِّى
دَنَوْتُ مِنها فكانت ∴ نارُ المُكلَّم قَبلى
نوديتُ منها كفاحاً ∴ رُدُّوا ليالىَ وَصْلِى
حتى إذا ما تدانى الـ ∴ ـميقاتُ فى جمع شَمْلى
صارت جبالى دَكّاً ∴ مِنْ هَيْبَة المُتجَلِّى
ولاحَ سِرٌّ خفىٌّ ∴ يَدْريه مَنْ كانَ مِثْلى
وصرتُ موسى زمانى ∴ مُذْ صار بَعْضِىَ كُلِّى
فالموتُ فيه حياتى ∴ وفى حياتى قتلى
أنا الفقير المُعَنَّى ∴ رِقُّوا لحالِى وذُلِّى

ثانياً: من قصائده رحمه الله و رضى عنه:

نسختُ بحُبِّى آيةَ العشقِ من قبلـى ∴ فأهْلُ الهوَى جُنْدى و حُكْمى على الكُلِّ
و كـل فتـىً يَهْـوَى فـإنِّى إمَامُـه ∴ وإنِّى برىءٌ من فتىً سـامِع العَـذْلِ
وَ لى فى الهوَى عِلمٌ تَجِلُّ صِفاتُه ∴ ومَنْ لم يُفقِّهْهُ الهوَى فهـو فـى جَهْـلِ
ومَنْ لم يكن فى عِزَّة الـنَّفْس تائهـاً ∴ بحبِّ الذى يَهْـوى فَبَشِّـرْه بالـذُّلِ
إذا جـادَ أقـوام بمـال رأيـتَهم ∴ يَجُـودُون بـالأرواحِ بـلا بُخْـلِ
وإنْ هُدِّدُوا بالهَجْرِ ماتوا مخافـةً ∴ وإن أُوعِدوا بالقتل حَنُّوا إلى القتـلِ
لعَمْرى هم العُشَّاقُ عندى حقيقـةً ∴ على الجَـدِّ و البـاقون مـنهم علـى

ثالثاً: من قصيدة له رحمه الله و رضى عنه:

زِدْنى بفَرْطِ الحُـبِّ فيـك تَحَيُّـراً ∴ وارْحَمِ حشـاً بلظَـى هـواكَ تَسَعَّرا
وإذا سـألْتُكَ أنْ أراكَ حقيقـةً ∴ فاسمَحْ ولا تجعلْ جوابىَ لن تَـرى
يا قلبُ أنْتَ وَعَدْتَنى فـى حُـبِّهم ∴ صـبراً فحـاذِرْ أن تضـيق وتضـجراً
إنَّ الغـرامَ هـو الحيـاةُ فَمُـتْ بـه ∴ صَـبّاً فحقُّـكَ أن تمـوتَ و تُعـذرا
قـل للـذين تَقَـدَّموا قَبْلـى و مَـنْ ∴ بعدى ومن أضحى لأشجانى يَـرَى
عَنِّى خُذُوا و بىَ اقتَدوا ولىَ اسمعوا ∴ وحـدِّثوا بصـبابَتى بـين الـورَى
ولقد خَلَوْتُ مع الحبيب و بيننـا ∴ سـرٌّ أرقُّ مـن النَّسـيم إذا سَـرَى
وأبـاحَ طرْفِـى نظـرةً أمَّلتُهـا ∴ فَغَـدَوتُ معروفـاً و كنـتُ منكَّـرا
فَدُهِشْـتُ بـين جمالـه و جلالـه ∴ وغَدَا لسانُ الحـال عنِّـى مُخـبرا[1]

---

(١) من ديوان ابن الفارض ص١٣٢ إلى ١٤١.

ما أجمل هذا الحب، وما أعظمه، وما ألذَّهُ، وما أثْمرَهُ، وما أحْلاه.

فعن أنس ﷺ «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنّ حَلاَوَةَ الإيمَان، مَنْ كَانَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبّ إلَيْهِ مِمّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبّهُ إلاّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُود فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ»(١).

تم الكتاب فى يوم ١١ / ٨ / ٢٠٠٤

المؤلف

أستاذ دكتور/ شحات حسيب الفيومى

وكيل كلية أصول الدين و الدعوة

بالمنوفية

---

(١) حديث متفق عليه.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير ، ط دار الشعب.
٣- فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط دار الشروق.
٤- صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، ط دار الشعب.
٥- صحيح مسلم بشرح النووى، الإمام مسلم و الإمام النووى، ط المكتبة المصرية.
٦- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، الإمام الترمذى والإمام المباركفورى، ط دار الكتب العلمية .
٧- دلائل النبوة ، الإمام أبو بكر البيهقى، ط دار الريان للتراث.
٨- رياض الصالحين، الإمام النووى ، ط دار السلام.
٩- شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوى ، ط المكتب الإسلامى.
١٠- المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، ط دار المعارف.
١١- البداية و النهاية ، الإمام الحافظ ابن كثير، ط مكتبة المعارف.
١٢- إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالى ، ط مكتبة الإيمان.
١٣- تاريخ عمر ، أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى، ط السلام العالمية.
١٤- الروض الأنف ، المحدث أبو عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى، ط الكليات الأزهرية .
١٥- عبقرية الصديق ، الأستاذ عباس العقاد، ط دار الكتاب اللبنانى.
١٦- الأدب و النصوص فى العصرين الجاهلى و صدر الإسلام ، د/ محمد محمد خليفة ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
١٧- التاريخ الأدبى للعصرين العثمانى والحديث ، د.على العمارى ، ط مطابع الأزهر.
١٨- ديوان ابن الفارض ، ابن الفارض ، ط مكتبة القاهرة.
١٩- فقه السنة ، السيد سابق ، ط الفتح للإعلام العربى.

الفهرس

رقم الإيداع
١٤١٣٩ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى
I.S.B.N. 977- 224 – 367 - 9